سوريـــــــا في الاستراتيجية الإيرانيـــــــة

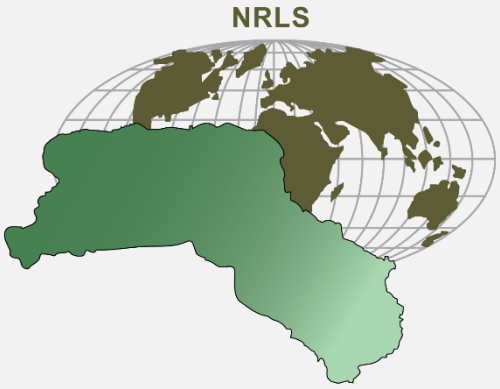

سوريا في الاستراتيجية الإيرانية

رامان رشواني

مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية

NRLS

(بحث تم نشره في مجلة دراسات استراتيجية العدد 19-20 الصادرة عن مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية NRLS)

nrls.tekile@gmail.com

+963 993 822 054

www.nrls.net

حقوق الطبع والنشر محفوظة

2025

nrls.rojava
nrls_rojava
nrlsrojava
nrlsrojava

www.nrls.net
nrls@nrlsrojava.com
00963993822054

مقدمة

مع التطوّر الكبير في صناعة الأسلحة والمعدّات العسكرية الحربية بدأت تظهر النزعة الشمولية لدى الملوك والدول القديمة، وبدأ يظهر معها مفهوم الهيمنة والتوسّع والسيطرة على الشعوب والدول، لذلك سعت كل دولة وإمبراطورية كبيرة إلى قضم الدول الضعيفة والهيمنة عليها، سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية وحتى الاجتماعية أحياناً، ويبدو أنّ هذا المفهوم لا يزال سائداً لدى العديد من الدول العالمية والإقليمية، ومن بينها تركيا وإيران، فمثلاً الدولة الإيرانية التي خضعت للخميني عام 1979م، تَعتبِر الهيمنة على دول مثل العراق ولبنان وسوريا واليمن ضرورة تاريخية ومستقبلية؛ كون هذه المناطق كانت تتبع للامبراطورية الفارسية، كما أنّها تنظر لهذه الدول كجزء من محيطها الحيوي، وبالأخص سوريا التي تحتلّ مكانة كبيرة لدى القادة الإيرانيين الذين حاولوا الاستفادة من الفوضى الحاصلة في البلاد من أجل الهيمنة عليها، وذلك عبر عدة تكتيكاتٍ منسّقة.

تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على العقيدة العسكرية والسياسية لإيران ونظرتها للأحداث السياسية العالمية، وذلك بتحديد المرتكزات التي استندت عليها قبل وأثناء الأزمة في سوريا، وكيف قامت بتسيير الجانب العملي من استراتيجيتها كالتنسيق مع داعش من أجل تسخيره لأجنداتها الهادفة إلى محاربة التحالف الدولي ومعها قوات سوريا الديمقراطية، إلى جانب ذلك تم تثبيت أبرز العوائق التي واجهت استراتيجيتها المتمثّلة بعدّة نقاط، كالرفض الإسرائيلي والأمريكي والعربي لمشروعها، وفشل تنسيقها مع كل من تركيا وروسيا، في منع سقوط حليفه الاستراتيجي في المنطقة، بالإضافة إلى أسباب أخرى سيتم ذكرها خلال المحاور، وأخيرًا تتناول الدراسة السيناريوهات المستقبلية للاستراتيجية الإيرانية بعد سقوط النظام البعثيّ.

العقيدة السياسية والعسكرية الإيرانية:

يمكن تعريف العقيدة العسكرية والسياسية بأنّها مجموعة من المفاهيم والمبادئ والقيم، سواء أكانت دينية أو فلسفية، تتبنّاها دولة أو كيان أو حزب ما للسير عليها كبراديغما من أجل مواجهة مختلف التهديدات الصادرة من محيطها الخارجي، ولضمان أمن مؤسساتها السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية ...الخ، ويتم تعميم هذه العقيدة على المجتمع لضمان ديمومتها، ولا يمكن الفصل بين العقيدة العسكرية والعقيدة السياسية؛ فهما مرتبطان ببعضها بعضاً ارتباطاً وثيقاً وبأيديولوجيتها وفلسفتها الاجتماعية والاقتصادية لتكون بالتالي التعبير العسكري للنهج السياسي([1]) المتّبع في دولة أو كيان ما، كما أنّ العقيدة السياسية والعسكرية هي القانون التي تقسّم الأعداء والأخطار وفق سياقات سياسية وعسكرية محدّدة، وتعتمد لغة التهديد والخطر معياراً رئيسياً لها، وتُعتبَر العقائد العسكرية هي بصورة أخرى انعكاساً مباشراً لما يحمله القائد السياسي البراغماتي والاستراتيجي؛ واستناداً إلى تجارب عدّة حركات ودول فإنّ العقيدة العسكرية قابلة للتغير عند بروز تطوّرات عالمية وإقليمية جديدة تؤثّر في العقيدة السياسية.

وكغيرها من الدول الإقليمية الساعية وراء الهيمنة على منطقة الشرق الأوسط والتحوّل إلى قوة دولية مؤثّرة، تمتلك إيران عقيدة سياسية وعسكرية يستند عليها صُنّاع قرارها في سياستهم الداخلية والخارجية؛ والتي ترتكز بشكل كبير على الإرث التاريخي للممالك الفارسية، وتعاليم الخميني الذي صاغ مفاهيم سياسية وعسكرية جديدة ممزوجة بالفكر الديني والإيديولوجية الفارسية القومية، لتتناسب مع التغييرات الدولية والإقليمية التي لعبت هي الأخرى دوراً مهمّاً في تطوّر العقيدة السياسية والعسكرية الإيرانية، ولعلّ أبرز تلك الأحداث هي: حرب الخليج الأولى والثانية، ثم الاحتلال الأمريكي لأفغانستان والعراق، وسقوط الاتحاد السوفياتي وغيرها؛ فالصياغات الجيو- أمنية الخمينية ترى أنّ العالم مقسّم إلى مجالَين: مجال خير تقوده إيران، ومجال شرّ تقوده القوى الأخرى؛ واستنادا إلى

[1] اللواء الركن مهدي نعيم مهدي، مركز النهرين للدراسات الاستراتيجية، مفهوم العقيدة العسكرية، قسم الدراسات الأمنية والعسكرية، تاريخ النشر 6-2018-20م، الرابط: https://www.alnahrain.iq/post/262.

هذه التقسيم وضعت قانوناً حدّدت فيه كلّاً من أعداء وأصدقاء إيران([2])، فالأخيرة ترى أنّ التحوّل إلى قوة دولية منافسة ليس بالأمر السهل، لذلك يتوجّب عليها تعزيز القدرات العسكرية الاستراتيجية التي تتمثّل في حيازة أسلحة نووية وامتلاك ترسانة من الصواريخ الموجّهة بدقة ليتسنّى لها القدرة على مجاراة القوى المهيمنة الأخرى، لذا ما إن تطوّرت القدرات العسكرية الإيرانية حتى اتّضحت استراتيجيتها في المنطقة من خلال تحرّكاتها على الأرض والتصريحات العلنية لقياداتها بالهيمنة على عدة دول في منطقة الشرق الأوسط، لعلّ أبرزها تصريح علي يونسي (مستشار الرئيس الإيراني حسن روحاني) في عام 2015م: "إنّ إيران اليوم أصبحت إمبراطورية كما كانت عبر التاريخ، وعاصمتها بغداد حالياً، وهي مركز حضارتنا وثقافتنا وهويتنا كما في الماضي، إنّ جغرافية إيران والعراق غير قابلة للتجزئة، وإنّ ثقافتنا غير قابلة للتفكّك، إنّ كلّ منطقة الشرق الأوسط إيرانية وكل شعوب المنطقة جزء من إيران، ونحن نريد تأسيس اتحاد إيراني في المنطقة"([3]). لذا؛ فإنّ الاستراتيجية الإيرانية في المنطقة تتمحور في السيطرة والهيمنة على القرار السيادي والسياسي والعسكري والاقتصادي لعدد من الدول، وتحويلها إلى دول تابعة لها (أي تشكيل ما يشبه قوساً يمتدّ من لبنان وسوريا مروراً بالعراق والبحرين على الخليج ووصولاً إلى البحر الأحمر)، وهذا هدف تسعى إلى تحقيقه معظم التيارات السياسية الإيرانية، سواء أكانت إصلاحية أو محافظة، لكن بطرق وأساليب وأدوات مختلفة نوعاً ما، وبمشاركة أذرعها العسكرية وعلى رأسها فيلق القدس (المختص في العمليات الخارجية) التابع للحرس الثوري الإيراني الذي يقوم بتصدير الأفكار الخمينية (تصدير الثورة بحسب الدستور الإيراني) لخارج حدودها، ويعتبرونها جزءاً من سياساتها الخارجية، وذلك عبر الاعتماد على مقاربتين ترتكزان على عدّة مبادئ ورؤىً أيديولوجية وبراغماتية منسّقة؛ لعلّ أبرزها اللعب على الوتر الديني والمذهبي؛ فالأولى تعتمدها مع أتباع المذهب الشيعي بمختلف طوائفه، وذلك عبر الترويج للمذهب وخطر العدو والمخاوف المشتركة واستحضار الصراع السُنّي-الشيعي التاريخي، والمظالم التي تعرّضوا لها في مختلف المناطق لتحفيزهم وحضّهم على التخلّص من حكّامهم السُنّة عبر نعتهم بالطغاة وعملاء الغرب، وإظهار نفسها كحامية لهم وكسبهم في معادلة الصراع الإقليمي، أمّا المقاربة الثانية فتتّبعها إيران مع جماعات المذهب السّنُّي كالإخوان المسلمين وحركة الجهاد الإسلامي وحماس وغيرها، وذلك استناداً على المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة؛ فمثلا على صعيد الأفكار والأيديولوجيا يحبّذ الطرفان إقامة حكم إسلامي بِغَضّ النظر إن كان سُنّياً أو شيعياً، ويمتلكان نفس التصوّرات والمواقف السياسية تجاه العلاقة مع القوى الغربية، إلى جانب ذلك يتشاطران بعض الأهداف الجيوسياسية البراغماتية في المنطقة، على غرار ما يسمّى مجابهة إسرائيل وتحرير فلسطين؛ ولدعم هذا الموقف وإبعاد الشبهات الطائفية لمشروعها في المنطقة تبنّت إيران المحور الذي يطلق على نفسه "محور المقاومة"، والهادفة - بحسب أدبياتها وتصريحاتها - لمواجهة النفوذ الأمريكي ومحاربته في المنطقة، والقضاء على إسرائيل؛ عبر نعت الأولى (أمريكا) بقوى الاستكبار العالمي، والثانية (إسرائيل) بالشيطان الأصغر في المنطقة؛ وذلك لجذب مختلف تيارات الإسلام السياسي السُنّية، والإيحاء لها بأنّ

---

[2] الأعداء والأصدقاء، بنظر صانع القرار الإيراني هم:
دول كافرة عدوّة كالولايات المتحدة وإسرائيل- دول كافرة صديقة كالصين أو كوريا الشمالية وروسيا -دول إسلامية عدوّة كالسعودية -دول إسلامية حليفة كسوريا- دول محايدة كأغلب دول العالم الثالث أو دول عدم الانحياز.
فراس إلياس، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، فرضية العدو في العقيدة العسكرية الإيرانية، تاريخ النشر 12نيسان 2018م، الرابط؛
https://rasanah-iiis.org/%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA/%D9%81%D8%B1%D8%B6%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D9%88-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%82%D9%8A%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B3%D9%83%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%8A%D8%B1/

[3] د.ظافر محمد العجمي، الأوتاد الاستراتيجية الإيرانية شمال الخليج، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية،14حزيران 2016م، الرابط الإلكتروني؛
https://rasanah-iiis.org/%D9%85%D8%B1%D9%83%D8%B2-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A7%D8%AA-%D9%88-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AD%D9%88%D8%AB/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D8%AA%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D8%AC%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D8%B4%D9%85%D8%A7%D9%84/

أسلوب الخميني والجمهورية الإسلامية المتّبع حالياً يمثّل طريق الحلّ الإسلامي للخلاص من الأنظمة العربية الموالية للغرب، وبالتالي فرض النموذج السياسي الإيراني عليهم.

التوسّع والتمدّد في المنطقة عبر الاستفادة من حالة الفوضى والقلاقل السياسية السائدة في المنطقة منذ 2001م، أي بعد خروج كل من حركة طالبان ونظام صدام حسين من المشهد السياسي الإقليمي اللذَين كانا من القوى المنافسة والعائقة أمام إيران. في عام 2011م شكّلت الأحداث المنطلقة في بعض الدول العربية، وظهور الجماعات الإرهابية الإسلاموية في كل من سوريا والعراق فرصة للنظام الإيراني لإنشاء ميلشيات موالية لها في مختلف أنحاء المنطقة، إلى جانب ذلك فقد كان التراجع الأمريكي وعدم وضوح معالم استراتيجيتها في المنطقة في بعض الأحيان من العوامل التي ساهمت في إفساح المجال أمام إيران لملء الفراغ الإقليمي الحاصل ولو جزئياً، (وقد يكون غضّ الطرف الأمريكي عن التوسّعات الإيرانية لتوريطها في المستنقع السوري والعراقي) وساهمت كذلك في تمتّعها بنفوذ كبير في كل من العراق وسوريا ولبنان واليمن؛ عبر إقامة تحالفات مع سلطاتها وإنشائها لكيانات جديدة موالية لها، ويبدو أنّها لم تكتفِ بهذا القدر من النفوذ والتوسّع في المنطقة، ويظهر ذلك جلياً من تصريحات قاداتها الذين يعتبرون البحرين جزءاً من الجغرافية الإيرانية ومسألة السيطرة عليها ليست سوى مسألة وقت فقط، لذا؛ ستحاول جاهدة إثارة القلاقل في عموم المنطقة من أجل فتح المجال للتدخّل فيها. إنّ التوسع والتمدّد يُعتبَران من المبادئ الراسخة في العقيدة السياسية والعسكرية للقادة الإيرانيين، والذين يحلمون بإنشاء كيان توسّعي موالٍ لها شبيه بالإمبراطورية الفارسية من خلال نشر التشييع والتفريس في المنطقة عبر آليتين؛ الأولى تتم بشكل مباشر في مناطق النفوذ الإيراني كما في سوريا والعراق ولبنان، وذلك عبر فتح الحسينيات وإخضاع السكّان لدورات سياسية وعسكرية ودينية تمهيداً لتشيّعهم وتنظيمهم في الكيانات والميلشيات الموالية لها، أمّا الثانية فتتم عبر القوة الناعمة وفي البلدان التي لا تخضع للنفوذ الإيراني، كما في بعض الدول العربية وأفريقيا وبعض دول أمريكا اللاتينية، مستغلّة مسألة الخلافات الشيعية – السُّنّية، وحالة الفقر والفساد المنتشرة في بلادهم لنشر أيديولوجيتها بينهم عبر إغداقهم بالأموال والمساعدات وجذبهم بدعاية المقولات الثورية، علماً أنّ التشيّع السياسي المعاصر يختلف عن التشيّع التاريخي، بارتباطه العقائدي بنظام الولي الفقيه والدولة الإيرانية، التي قامت عليه منذ عام 1979م.

إلى جانب الرؤى المذكورة؛ فإنّ إيران وظّفت الخطاب الثوري المعادي لأمريكا والغرب وإسرائيل ضمن قوتها الناعمة كي تستطيع أن تكسب قطاعات واسعة من الرأي العام لصالحها؛ وذلك عبر مقاربة شاملة لقضايا المنطقة وعسكرة المجتمعات العراقية والفلسطينية واللبنانية والسورية عبر تنظيمها في ميلشياتها، ولعب دور كبير في سياسة هذه الدول وربط استقرارها بقبولها للدور الإيراني الإقليمي، فالأخيرة تعتقد أنّ تطبيق هذا الرؤى والمبادئ ونسج علاقات مع كيانات غير دولتية موالية للولي الفقيه سيتيح لها السيطرة على موارد الطاقة الاستراتيجية في هذه الدول، وسيمكّنها من الضغط على إسرائيل والدول الخليجية في المنطقة، وهو ما من شأنه إجبار القوى الغربية والأوراسية على التعامل معها كلاعب رئيسي في الوضع الجيوسياسي العالمي؛ لذلك تسعى بشتّى الوسائل لتطوير المفاهيم والقدرات العسكرية بما فيها السلاح النووي الاستراتيجي.

ثانياً- أهمية سوريا في المنطق السياسي والعسكري الإيراني:

"سوريا هي المحافظة رقم 35 لإيران، إذا هاجمنا الأعداء وكانوا يريدون أخذ إمّا سوريا أو محافظة خوزستان، فإنّ الأولوية هنا المحافظة على سوريا، فإذا حافظنا على سوريا معنا، فإنّه بإمكاننا استعادة خوزستان أيضاً، ولكن إن فقدنا سوريا، لا يمكننا أن نحافظ على طهران"([4])، هذا ما صرّح به رجل الدين الإيراني المتشدّد مهدي طيب الشقيق الأصغر لحسين طيب، مدير استخبارات الحرس الثوري سابقاً في عام 2014م مبرزاً أهمية سوريا في الفكر والاستراتيجية الإيرانية في المنطقة التي تقع في عمق مشروعها الذي يمرّ بعدد من دول المنطقة، لذلك فقاداتها حريصون بشكل كبير على عدم خروجها من دائرة نفوذهم كونها تعتبر سوريا بمثابة بيضة القبان بينها وبين الدول

[4] كريم سجادبور، مركز مكافحة الإرهاب في ويست بوينت، Iran's Unwavering Support to Assad's Syria، SYRIA SPECIAL ISSUE, VOLUME 6، ISSUE 8، August 2013، الرابط الالكتروني؛ https://ctc.westpoint.edu/irans-unwavering-support-to-assads-syria/

العربية لذلك فطهران تظن بأن خسارتها سيؤدي إلى تراجع نفوذها في الدول العربية، وإلى تعطيل قدراتها في تقديم الدعم البشري والمالي والعسكري لوكلائها أمثال حزب الله وحماس والجهاد الإسلامي الفلسطيني، كما أنّهم كانوا يعتبرونها من الدول التي تشاركها نفس المخاوف ونفس التوجّهات السياسية، كما تشكّل معها ما يسمّى "محور المقاومة" ضدّ القوى الغربية ودولة إسرائيل.

إنّ موقع سوريا الاستراتيجي يشكّل نقطة حساسة للإيرانيين؛ لأنّها تصلهم إلى البحر المتوسط وتساعدهم على ربط ممرّها البرّي بالساحل، لذلك فحتى الأخمينيين (الفرس القدماء) حرصوا بشدّة على عدم خسارة هذه الجغرافية كي لا يفقدوا هيمنتهم على منطقة الشرق الأوسط، هذا الأمر ينطبق على الحكام الإيرانيين الحاليين الذين يعتبرون سوريا نقطة ضعف لديهم، وهذا ما نستنتجه من تصريحات رفسنجاني في عام 2013م عندما قال "إنّ فقدان السيطرة على سوريا سيقطع السلسلة من لبنان إلى إيران، الأمر الذي سيتسبّب بحدوث أشياء سيّئة لنا ([5])، إلى جانب ذلك يعتبر القادة السياسيين والعسكريين أنّ جغرافيتها (سوريا) كونها تمتلك حدوداً مع عدّة دولة وبالأخص دولة إسرائيل، وكذلك أنّ موقعها يخدم استراتيجيتهم العسكرية الدفاع الأمامي أو الدفاع المتقدّم، أو كما قال خامنئي مبدأ "الاستجابة للمهدّدات بالمهدّدات"، والذي يقضي بمعالجة المهدّدات عند أبعد نقطة ممكنة من حدودهم، وعدم انتظارها لتتحوّل إلى أخطار محقّقة داخل إيران.

فإيران ترى أنه لضمان حُسن سَير مشروعها واستراتيجيتها التوسّعية القائمة في المنطقة ينبغي عليها السيطرة والحفاظ على نفوذها في سوريا، والمساومة عليها في ملفات أخرى؛ كونها تواجه بؤراً متعدّدةً من الاضطرابات في محيطها الحيوي، وتوتّرات متقطّعة مع منافسين أقوياء مثل الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية وإسرائيل، بالإضافة إلى عدد لا يحصى من المشاكل الداخلية متعلّقة بالحريات السياسية والوضع المعيشي والفساد، ونقمة العديد من الطبقات على سياساتها التوسّعية في المنطقة التي لن تتخلّى عنها بسهولة كما كان يُعتقد، وبالأخص في سوريا التي تعتبر القلب النابض لمشروعها واستراتيجيتها في المنطقة.

ثالثاً- مرتكزات الاستراتيجية الإيرانية في سوريا:

بعد وصول الخميني إلى السلطة وتحديده المسار الذي ستسلكه الدولة الإيرانية في سياستها الخارجية، بدأت العلاقات بين كل من سوريا وإيران بالتطوّر، لا سيما بعد الحرب الإيرانية- العراقية 1980م، والتي كان لها دور كبير في رصف العلاقة بينهما، وبالأخصّ من الجانب الإيراني الذي وضع على إثر تلك الحرب فرضية الأعداء والأصدقاء التي كان فيها موقع سوريا كدولة صديقة، استناداً إلى الخصومة بين نظامَي البعث في سوريا والعراق، ووجوب تطوير العلاقات الاستراتيجية معها بأعلى المستويات خدمة لمصالحها؛ كون القادة الإيرانيّين وجدوا موقع سوريا الجيوسياسي المهمّ ومواقف سلطاتها متناغمة مع تطلّعاتها وأفكارها، لذلك أولوا اهتماماً كبيراً بها نظراً لوجود عدّة نقاط وتقاطعات مشتركة بينهما ومفيدة بنفس الوقت للاستراتيجية الإيرانية قبل الأزمة عام 2011م؛ ومنها: مواجهة العدو المشترَك واللدود بالنسبة لإيران التي حاولت الاستفادة من موقع سوريا مع دولة إسرائيل من أجل الضغط عليها في أقرب نقطة ممكنة، ووضعها في حالة قلق مستمر من إمكانية شنّ عمليات من قبل سوريا بالتنسيق مع إيران ضدّها، إلى جانب ذلك استفادت إيران من النفوذ السوري الكبير في لبنان من أجل تشكيل جماعات موالية لها، وذلك عبر تهيئة المناخ المناسب لتحرّكاتها؛ فمثلا في عام 1982م إبان الحرب اللبنانية- الإسرائيلية سمح النظام السوري بتمركز ما يقارب من 2000 من عناصر الحرس الثوري الإيراني في سهل البقاع الذي كان تحت سيطرته، ومع مرور الوقت استطاعت تلك العناصر إقامة روابط وثيقة مع الجماعات الشيعية (حركة أمل) وتأسيسهم فيما بعد لجماعة حزب الله التي كان يتم تزويدها بالأسلحة عن طريق سوريا لتصبح الأخيرة جسراً بين كلّ من الجماعات

[5] Karim Sadjadpour and Behnam Ben Taleblu- Iran in the Middle East: leveraging chaos- POLICY BRIEF ISSN: 1989-2667- Nº 202 - MAY 2015- https://www.files.ethz.ch/isn/191161/Iran%20in%20the%20Middle%20East_%20leveraging%20chao.pdf

الشيعية وإيران وكجبهة متقدمة ضد إسرائيل في نفس الوقت؛ الأمر الذي أعطى لطهران الكثير من نقاط القوّة ضدّ عدوّتها على الساحة الإقليمية.

الاعتماد على سوريا كشعرة معاوية بينها وبين الدول العربية خلال حربها مع العراق وبعدها، فأثناء حربها مع الأخيرة كان هناك احتمال أن تنزلق وتتطوّر الحرب إلى حرب عربية – إيرانية، أو سُنّية- شيعية لولا الدبلوماسية من قبل سوريا آنذاك، والتي قدّمت خدمات أخرى للقوات الإيرانية عبر مدّها بالأسلحة والمعدّات السوفياتية التي كانت بمثابة شريان مهم وحيويّ لها، كما أنّهم قاموا في أوائل عام 1983م بتأسيس مركز خاص لهم في المقرّ العام لوزارة الدفاع الإيرانية من أجل تقديم المشورة والمعلومات حول الاستراتيجية العسكرية العراقية([6])، وتدريب قواتها على كيفية استخدام الأسلحة السوفياتية، وغيرها من الخدمات الأخرى كقطع خط أنابيب النفط "بانياس كركوك" التي كلّفت بغدادَ ما يُقدَّر بنحو 17 مليون دولار في اليوم، كما أنّها أرسلت جنودها إلى الحدود السورية- الأردنية، للضغط على القوات العراقية وتشتيت انتباهها عن حربها مع إيران، فتحالف الأخيرة مع سوريا مكّنها من تخفيف حدّة التوتّر الدبلوماسي وفتح قنوات التحاور مع الدول العربية المعادية للسلطة الثيوقراطية الإيرانية، إلى جانب ذلك ركزت الأخيرة على كيفية مواجهة النفوذ التركي انطلاقاً من سوريا؛ كونها كانت تراها تهديداً لأيديولوجيتها الإسلامية بحكم أيديولوجيتها المناقضة وعلاقاتها الوثيقة مع إسرائيل وأمريكا، لذلك وظّفت إيرانُ دمشقَ كدولة مناهضة للسياسة التركية في المنطقة، وحرصت على إبقاء علاقاتهما محصورة في إطار التنسيق الأمني ضدّ الكرد، وبالتنسيق معها أيضاً من أجل محاصرة القضية الكردية وطمس تطلّعات الحركة الكردية في مختلف أجزاء كردستان عبر الاتفاقيات الأمنية وتبادل المعلومات الاستخباراتية وممارسة سياسة ممنهجة عبر الاستفادة من تجارب بعضهم بعضاً. إلى جانب ذلك استثمرت طهران في قوّتها الناعمة، واعتبرتها أحد ركائزها في استراتيجيتها في سوريا، وذلك عبر فتح المراكز والجمعيات الثقافية ونشر التشيُّع بين المكوّنات السورية عبر تأسيس الجمعيات كجمعية المرتضى.

تُعَدّ كلّ من المصالح والدوافع حول معاداة إسرائيل والنظام العراقي والقضية الكردية في المنطقة، إلى جانب الهجوم الشرس من قبل النظام الدولي على منطقة الشرق الأوسط ووجود دول متحالِفة معها ومعادية لإيران، بالإضافة إلى توفير النظام السوري وصولاً حاسماً لوكلائها، بما في ذلك حزب الله اللبناني وحماس والجهاد الإسلامي الفلسطيني، عبر مدّهم بالأسلحة والمعدّات العسكرية عبوراً بالأراضي السورية من الركائز الأساسية في الاستراتيجية الإيرانية قبل الأزمة في سوريا؛ فالأخيرة قدّمت خيارات إضافية لإيران لتقوية قبضتهما في المنطقة، وتطبيق إستراتيجية إيران الدفاعية الأمامية في سعيها لتوسيع نفوذها الإقليمي الذي تحوّل إلى أمر واقع مع بدء الاحتجاجات والانتفاضات وانتشار الفوضى في مختلف المنطقة التي أفسحت المجال للتدخّل الإيراني، ومن بين تلك الدول سوريا التي انطلقت فيها الاحتجاجات في عام 2011م.

- **أثناء الأزمة السورية:**

بعد بدء الأزمة في سوريا بين النظام السوري ومعارضيه، وميل الكفّة لصالح الأخيرة، بدأ النظام الإيراني بالتحرّك لحماية مصالحها الاستراتيجية والاستجابة للظروف الأمنية المستجدّة في الشرق الأوسط من أجل إكمال مشروعها الذي كاد أن يتعرّض لضربات قاصمة بعد الانهيار السريع للمنظومة السياسية والعسكرية والاقتصادية لحليفه الموثوق في المنطقة، وبزوغ بيئات أمنية جديدة تهدّد مشاريعه؛ الأمر الذي فرض على النظام الإيراني إعادة تقييماته وتحديد الخطط والركائز الجديدة تزامناً مع التغييرات الدراماتيكية التي أفسحت له المجال من أجل التدخّل المباشر فيها، لذلك ما إن أخذت الأزمة بالتدهور وانفلتت زمام الأمور من يد النظام البعثي حتى بدأ الإيرانيون بتقديم المعونة والمساعدة له، والتي اقتصرت في بدايتها على نشر وحدات من فيلق القدس وتقديمهم المشورة للقوات العسكرية

[6] Atlantic Council- Tehran Stands Atop the Syria-Iran Alliance Author(s): DANIELLE PLETKA Atlantic Council 2017- https://www.atlanticcouncil.org/wp-content/uploads/2017/10/Tehran_Stands_Atop_the_Syria-Iran_Alliance_web_1030.pdf

والأمنية لتتطوّر فيما بعد إلى الدعم اللوجستي والمادّي والسياسي والعسكري، والدفع بالميلشيات الشيعية من كلّ حدب وصوب للقتال إلى جانبه بعد تعرّضها لخسائر فادحة في الأرواح خلال أتون الصراع الدامي.

بعد تدخّلها المباشر في الأزمة السورية التي كانت في أوجها، ركّزت إيران في البداية على تحقيق هدف استراتيجي وهو كيفية الحفاظ على النظام الحاكم من الانهيار ثم التفرّغ للأهداف الأخرى، وهذا ما يظهر بشكل جَليّ في مذكّرات المسؤول في الحرس الثوري الإيراني، حسين همداني، التي ترجمتها عدّة مراكز ومؤسّسات بحثية من الفارسية إلى العربية، والتي تشير إلى تركيز كلّ من إيران وجماعة حزب الله اللبناني في بداية الأزمة على تحقيق هذا الهدف؛ كونهم كانوا يعتقدون أنّ انهيار النظام السوري سيؤدّي بمشروعهم أدراج الرياح. فينقل همداني عن نصر الله (الذي قتل في 27 أيلول خلال غارة إسرائيلية) عند تسليمه الخطة المقترحة لمواجهة التحدّيات التي يواجهها حليفهم في مختلف الجوانب بأنّه قد قال آنذاك "أولاً يجب إخراج بشار والحكومة السورية من المستنقع، وبعد ذلك نُنظّفهم، ونُلبِسهم، ونُطعِمهم، ليقرؤوا درسهم ويؤدّوا عباداتهم، الآن يجب إخراجهم من المستنقع، هذه أول وأهم خطوة استراتيجية"([7]). السلطة الحاكمة في إيران كانت تفسّر الحرب السورية بين النظام ومعارضيه بأنّها بؤرة صراع جيوسياسي وإيديولوجي وطائفي أوسع نطاقاً ضدّ مجموعة متنوّعة من الأعداء والمنافسين لها، بمن فيهم الجهاديون (كداعش) ودول الخليج العربي وإسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، وبأنّ حليفهم يتعرّض لمؤامرة كونية من قبل الدول الغربية، لذلك قدّموا له كل ما يحتاجه من أجل البقاء في سدّة السلطة؛ فبحسب التقديرات المتداولة صرفت إيران سنويا بين 6 مليارات دولار و20 ملياراً على النظام السوري([8])، كما أنّها حمته من الانهيار الاقتصادي عبر تزويده بالنفط الرخيص بين أعوام 2013 إلى أواخر عام 2018، حيث تم شحن ما متوسّطه 2 مليون برميل شهرياً([9])؛ الأمر الذي ساعده للوقوف على قدميه من جديد وحال دون سقوطه، حيث صرّح المسؤولون الإيرانيون في عدّة مناسبات بأنّهم يقفون خلف بقاء النظام الحالي، ومنها تصريح قائد سلاح الطيران في الحرس الثوري الإيراني أمير علي حجي زاده: " إنّ الرئيس السوري بشار الأسد نجح في الانتصار على المعارضة المدعومة من الخارج، ولا يزال في السلطة، لأنّ إيران أرادت ذلك"([10]).

كان الهدف من استراتيجية إيران في سوريا هو الحفاظ على رأس النظام في السلطة لأطول فترة ممكنة إلى حين وضع شروط لضمان قدرة طهران على استخدام الأراضي والأصول السورية لمواصلة مصالحها الإقليمية إذا ما تمّت تنحية حليفها، وقامت إيران بمجهود واسع، ومتكامل لتحقيق هذه الأهداف، وعملت بشتّى الوسائل على تلميع صورته وفتح الآفاق الدبلوماسية أمامه كي يعيد هيبته التي فقدها طيلة السنوات الفائتة، لكن هذه المرّة بأجندة وأفكار إيرانية لم تقتصر على دعم هذا النظام، بل تعدّته إلى بناء وجود طويل الأمد؛ عبر السيطرة على المؤسسات العسكرية والسياسية والاقتصادية وحتى الاجتماعية والثقافية بعد انخفاض مستوى المعارك وحسم الأمور لصالحها بمساعدة نسبية من روسيا؛ الأمر الذي منح إيران دعماً لتطبيق استراتيجيتها المتّبعة في كل من العراق ولبنان، ألا وهي سياسة التبوّء والتجذّر والهيمنة الاستراتيجية، ويبدو أنّها نجحت بشكل نسبيّ في تحقيقها، ويمكن

---

[7] فاطمة الصمادي، ما تقوله مذكرات الجنرال همداني :الوصاية الإيرانية على سورية، مجلة سياسات عربية، العدد 22، تاريخ الصدور أيلول/سبتمبر 2016م.

[8] علي فتح الله نجاد، إيران: محاربة "الإرهاب" علناً ورثاء الأموات سرّاً، مركز بروكينغز، تاريخ النشر 1مايو 2018م، الرابط الالكتروني؛
https://www.brookings.edu/ar/articles/%D8%A5%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86-%D9%85%D8%AD%D8%A7%D8%B1%D8%A8%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B1%D9%87%D8%A7%D8%A8-%D9%88%D8%B1%D8%AB%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%88%D8%A7%D8%AA/

[9] KARAM SHAAR - THE SYRIAN OIL CRISIS CAUSES, POSSIBLE RESPONSES, AND IMPLICATIONS- The Middle East Institute- UGUST 2019 POLICY PAPER 2019-17
https://www.mei.edu/sites/default/files/2019-08/The%20Syrian%20Oil%20Crisis.pdf

[10] قناة العربية، قائد إيراني بارز: لولا دعمنا لسقط الأسد، نشر في: 13 أبريل ,2014م، الرباط الالكتروني؛
https://www.alarabiya.net/2014/04/13/%D9%82%D8%A7%D8%A6%D8%AF-%D8%A5%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%8A-%D8%A8%D8%A7%D8%B1%D8%B2-%D9%84%D9%88%D9%84%D8%A7-%D8%AF%D8%B9%D9%85%D9%86%D8%A7-%D9%84%D8%B3%D9%82%D8%B7-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D8%AF

ملاحظة ذلك في هيمنتها على الركائز والأعمدة الأساسية في مناطق النظام السوري؛ فاقتصادياً وقّعت طهران عدّة اتفاقيات ومذكّرات تفاهم مهمّة، كما أنّ النظام منحها عقوداً لاستخراج الفوسفات، وخمسة آلاف هكتار من الأراضي للزراعة، وألف هكتار لإنشاء مرافئ للنفط والغاز، وجرى أيضاً توقيع اتّفاق لتقديم أراضٍ لتربية الماشية، بالإضافة إلى رخصة حصلت عليها إيران لتصبح مُشغّلاً لاتصالات الهاتف المحمول في سوريا([11])، وغيرها العديد من الاتفاقيات الاقتصادية المهمّة، فإيران تستثمر في مشاريع إعمار طويلة الأمد وممولّة بقروض بمليارات الدولارات والتي كان يتعيّن على النظام السوري تسديدها خلال خمسة وعشرين عاماً، ومن ضمنها مبيعات نفطية بقيمة 20 مليار دولار، وأعمال إعادة الإعمار بكلفة 8 مليار دولار، ومشاريع زراعية تمتدّ على أكثر من 12 ألف فدّان([12])، والتي ستمنح طهران نفوذاً كبيراً في مستقبل البلاد. عسكرياً؛ قامت إيران بتشكيل العديد من الميليشيات الموالية لها (والتي يبلغ عددها حوالي 65 ألف مقاتل) في مناطق النظام السوري وحوّلتها إلى ما يشبه حزب الله اللبناني والحشد الشعبي في العراق عبر تنظيم وتمويل هذه الجماعات، ليكون لديها ما يكفي من الاستقلالية للسماح لها بالحصول على مواردها المحلّية وقواعد الدعم الخاصة بها وتحويلها إلى جهات فاعلة. وخلافاً للميليشيات الشيعية التي شكّلها الحرس الثوري؛ فقد أظهرت نسخة حزب الله في سوريا اهتمامات واسعة النطاق بالأيديولوجية الشيعية العابرة للحدود، والتزاماً صارماً بإيديولوجية ولاية الفقيه التي ينتهجها النظام الإيراني، والتي تمنح السلطة المطلقة للمرشد الأعلى علي خامنئي، وغالباً ما تكرّر جماعات حزب الله السورية الحملات الدعائية الآتية مباشرة من طهران، وتميل إلى التركيز بصورة أكثر على قضايا خارج سوريا أكثر من الميليشيات الأخرى الموالية لإيران، كما أنّ الحرس الثوري الإيراني وحزب الله اتّخذا خطوات كثيرة للتأثير في إعادة بناء الجيش، عبر تزويدهم بالقدرات الهجومية على غرار صواريخ أرض- أرض وطائرات من دون طيار، كما عملوا على بناء وتدريب وتشغيل قوات خاصة في الجيش السوري، من بينها الفرقة الرابعة التي يقودها ماهر الأسد، ووحدات الأمن الداخلي والميليشيات شبه العسكرية المحلّية الموالية للنظام السوري، بالإضافة إلى لعبهم دوراً كبيراً في حركة التعيينات العسكرية والأمنية عبر فرض الأشخاص الموالين لأيديولوجيتهم، واستفادتهم من الحرب الروسية- الأوكرانية عبر ترسيخ نفوذها بشكل أكبر على حساب النفوذ الروسي، لذا وبعد مضيّ أكثر من 12 عاماً من الحرب باتت الميليشيات الإيرانية تسيطر في الوقت الحالي على جغرافية واسعة من منطقة غرب الفرات تحت مسمّيات مختلفة، وتمكّنت من افتتاح العديد من المراكز العسكرية التابعة لها، ونسبت تلك المراكز لقوات النظام السوري، الذي بالكاد تحوّل إلى جيش ميلشياوي يخدم التصوّرات والعقيدة العسكرية الإيرانية الخمينية التي ساعدها البعد الديني والثقافي في تحوّل ميلشياتها من جماعة مسلّحة إلى حركة اجتماعية وثقافية، ومن ثم باتت (من الناحية المثالية، من المنظور الإيراني) عنصراً متكاملاً في النظام السياسي (من خلال دمج الميليشيات إمّا بالجيش أو قوة الشرطة أو قوات مساعدة موازية للجيش) وبناء ما يشبه الدولة العميقة في سوريا.

سياسياً؛ كان القرار السيادي للنظام السوري رهيناً بيد المسؤولين الإيرانيين وقيادات الحرس الثوري، ومن دونهم لا يمكن لرأس النظام اتّخاذ أي قرار سياسي استراتيجي، لا بل أصبح المشروع الإيراني من العوامل المؤثّرة على العقيدة السياسية للنظام السوري، وما يشير إلى ذلك أنّه عندما تم توقيع الاتفاقية بين إيران والسعودية سرعان ما حصل تغيير ملحوظ في السياسة الخارجية السعودية تجاه النظام السوري، والتي تمخّض عنها عودة مقعد سوريا في الجامعة العربية، لذا؛ فإنّ النظام السوري تحوّل إلى أداة بيد إيران التي لم تكتفِ بهذا القدر من الاختراق، بل عملت على تغيير وجه وملامح سوريا إلى الأبد عبر اتباع سياسة القوة الناعمة التي تهدف إلى إنشاء بيئة اجتماعية حاضنة

[11] بوزورجمهر شرف الدين وإلين فرانسيس، الحرس الثوري الإيراني يحصد مكاسب اقتصادية في سوريا، وكالة رويترز، كانون الثاني 2019م، الرابط الإلكتروني؛ https://www.reuters.com/article/idUSKBN1532BN/

[12] بواسطة عُلا الرفاعي، معرض "إعادة إعمار سوريا": النفوذ الإيراني والعقوبات الأمريكية، معهد واشنطن، تحليل السياسات المرصد السياسي 3181، الرابط الإلكتروني؛ https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/mrd-aadt-amar-swrya-alnfwdh-alayrany-walqwbat-alamrykyt

للمشروع الإيراني المتمثّل في كل من "ولاية الفقيه" و"نظرية أمّ القرى"([13])، لذلك تقوم، وبدون هوادة، بنشر المذهب الشيعي الاثنا عشري بين المكوّنات السورية؛ وذلك عبر فتح الحسينيات والحوزات، حيث بلغ عدد الحسنيات500 حسينية شيعية، وعدد الحوزات 69 حوزة شيعية ([14])، وتوزيع الأموال على السوريين المحتاجين، وجرعة كبيرة من التلقين العقائدي في المعاهد الدينية، والمنح الدراسية للأطفال في الجامعات الإيرانية، والرعاية الصحية المجانية، وسلال الطعام، ورحلات إلى المواقع السياحية لتشجيع التحوّل إلى المذهب الشيعي ([15])، كما قامت بفتح العديد من المدارس الفارسية والمراكز الثقافية.

في الواقع؛ ساعدت الأزمة السورية الإيرانيين في توسيع تدخّلهم، وقطع مراحل في تنفيذ استراتيجيتهم لبقاء قويّ ومؤثّر وطويل الأمد؛ حيث انتقلت من الاعتماد على التبشير إلى الاعتماد على القوة العسكرية والأمن عبر بناء شبكة قواعد عسكرية وتوطين المقاتلين الأجانب، وعبر بناء وجود محلّي، كأمر واقع، من خلال الجيوب الشيعية الناشئة والميليشيات المحلّية المتشيّعة، وتتكفّل عمليات القصف والتهجير والاتفاقيات المحلّية ومنع عودة اللاجئين والمهجّرين بتسهيل التغيير الديموغرافي وإعادة رسم الخارطة الاجتماعية والمذهبية للمجتمع السوري كما تريدها إيران؛ ويستند هذا التغيير الجديد في الاستراتيجية إلى السيطرة الفعلية والمباشرة على مواقع القرار في مؤسسات الدولة السيادية: الجيش والأمن (ومن خلالهما إلى باقي مؤسسات الدولة)، كما يستند إلى المديونية السياسية والمالية لإيران التي أنقذت النظام السوري من السقوط.

لقد سعت إيران من خلال هذه الخطط والمرتكزات، بعد تدخّلها المباشر في الأزمة، إلى لبننة وعرقنة سوريا؛ وذلك عبر الاختراق الكامل للنظام السياسي السوري وتحويله إلى مجرّد كيان إيراني داخلي مثل أي كيان إداري داخل دولتها (أي تحويلها إلى المحافظة رقم 35 كما تصرّح القيادات الإيرانية)، بالإضافة إلى منح الأولوية لحكم الميلشيات والكيانات غير الدولتية ودمجها مستقبلاً في المنظومة السياسية والعسكرية السورية، كحزب الله اللبناني والحشد الشعبي العراقي اللذَين تحوّلا إلى قوة سياسية وعسكرية موازنة لدولهم، لا بل أصبحا يتحكّمان بالقرار السيادي لصالح الأجندات الإيرانية التي تعمل على خلق هذه الحالة في سوريا اعتماداً على الأهداف والأدوات المذكورة وغيرها التي يطول الحديث عنها.

رابعاً- الجانب العملياتي من الاستراتيجية الإيرانية في سوريا:

يحظى الجانب العملياتي بأهمية كبيرة في الاستراتيجية الإيرانية في سوريا نظراً لرغبتها بالتوسّع في كامل الجغرافيا السورية، وتحقيق المزيد من الأهداف والنقاط على المستوى القريب والبعيد لتثبيت دعائم مشروعها، لا سيّما بعد نجاحها، نسبياً، في الهيمنة على المفاصل المركزية في غرب الفرات وتشكيلها لمناطق نفوذ تابعة لها بشكل مباشر كمنطقة "السيدة زينب" التي تحوّلت إلى أشبه بمدينة إيرانية، لذلك يقوم الحرس الثوري بالتنسيق والتخطيط على عدّة جبهات لمواجهة مختلف التهديدات والتحدّيات التي تواجه استراتيجيتهم في سوريا، بالإضافة إلى تعزيز جبهات القتال مع كلّ من إسرائيل وأمريكا والتنظيمات السُّنّية المتشدّدة وبكل تأكيد مع الإدارة الذاتية

---

[13] بعد انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية، أصبحت إيران أم القرى دار الإسلام وأصبح عليها واجب أن تقود العالم الإسلامي وعلى الأمة واجب ولايتها، أي أن إيران أصبحت لها القيادة لكل الأمة.
محمد جواد لاريجاني، ترجمة وتحليل د نبيل علي العتوم، مقولات في الاستراتيجية الوطنية (شرح نظرية أم القرى الشيعية) pdf، سنة الطبع 2013م، الرابط الالكتروني:
https://books4arabs.com/BA2019/BA2019-1785.pdf

[14] المرصد السوري لحقوق الإنسان، من الدعم العسكري إلى الثقافة والاقتصاد.. إيران تسيطر على مفاصل سوريا بالكامل، تاريخ النشر يوليو 16, 2019م، الرابط الإلكتروني؛ https://www.syriahr.com/%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D8%B9%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B3%D9%83%D8%B1%D9%8A-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%AA%D8%B5%D8%A7/328096/

[15] Anchal Vohra- Iran Is Trying to Convert Syria to Shiism- Foreign Policy- MARCH 15, 2021- https://foreignpolicy.com/2021/03/15/iran-syria-convert-shiism-war-assad/

وقوات سوريا الديمقراطية؛ وذلك عبر أساليب ووسائل مختلفة بما فيها القوة الناعمة والصلبة والحرب الهجينة والعمليات التآمرية.

- **استهداف المعارضة السورية بمختلف أطيافها:**

كان القضاء على المعارضة السورية السياسية والعسكرية، بمختلف انتماءاتها وتوجّهاتها، أحد أسباب التدخّل الإيراني المباشر في الأزمة السورية، لذلك منذ تدخّل إيران المباشر لصالح النظام السوري سعى الحرس الثوري الإيراني إلى تحقيق هذا الهدف عبر عدّة آليات؛ منها: السيطرة على القرار الاستراتيجي العسكري للمعارك وتسييرها حسب الأولوية والأهمية بالنسبة لهم، تشكيل ميلشيات في مناطق النظام السوري كالدفاع الوطني وتدعيمها بميليشيات من أفغانستان وباكستان والعراق، بالإضافة إلى تأليب المجتمعات المحلّية، وخاصة العلويين والدروز وغيرهم، ضدّ المعارضة السُّنّية المسلّحة من أجل التحاقهم بالجبهات؛ هذه التكتيكات المتّبعة من قبل الحرس الثوري أثّرت بشكل كبير على سير المعارك، وسمحت للإيرانيين بالتغلغل والسيطرة على القرار العسكري، وقد أكّدت المعارضة المسلّحة في عدة مناسبات أنّها تحارب الحرس الثوري والميلشيات الإيرانية، وليس النظام السوري الذي استنفذ معظم طاقته مع حلول أعوام 2013م، وباتت الميلشيات الإيرانية هي المسيطرة على المسار والتوجّه العسكري، وظهر ذلك بشكل جليّ إبّان المعارك في منطقة حلب، والتي اعتُبِرت من المعارك المفصلية والاستراتيجية بالنسبة لإيران؛ كونها فسحت المجال أمامهم لتكريس سيطرتهم، والتحوّل من سياسة الحفاظ على النظام إلى كيفية إحرازه الانتصار ليس فقط في المعارك بل أيضاً على طاولة المفاوضات التي كان لإيران دور كبير فيها عبر تسيير الأمور بحسب استراتيجيتها.

بعد الانتصارات المتتالية لإيران والنظام السوري بدعم روسي، ونجاحها في تطبيق سياسة "الباصات الخضراء" على المعارضة الإسلامية المسلّحة، عملت الأولى على تمييعها من الناحية السياسية أيضا؛ وذلك عبر إفراغ برامجها وأطروحاتها وإجبارها على العودة للمفاوضات دون شروط مسبقة (كرحيل رأس النظام السوري) والانصياع والخضوع لمطالب النظام والإيرانيين؛ بهذه الخطوات والتكتيكات المتّبعة من قبلها، باتت المعارضة الإسلامية المسلّحة في حالة يُرثى لها سياسياً وعسكرياً، لا بل تحوّلت الكثير من فصائلها إلى مرتزقة لدى النظام التركي، خاصة بعد تطبيق ما تسمّى مناطق "خفض التصعيد" ضمن مسار آستانة الذي عُقدت أولى جولاته في كانون الثاني من العام 2017م، والتي حظيت باهتمام المسؤولين الإيرانيين كونهم كانوا يفضّلون فصل مسار آستانة عن جنيف لأنّ ذلك كان منسجماً بشكل أكبر مع توجّهاتهم؛ فطهران لم توقّع على مخرجات (جنيف -1) ولم تكن تريد أن تُلزم نفسها باتفاق لم تكن جزءاً منه، ومن شأن تطبيقه بشكل صحيح أن يقوّض نفوذها في سوريا. هذا المسار أفقد المعارضة الإسلامية المسلّحة معظم أوراقها وقواها الصلبة والناعمة لصالح النظام السوري والإيرانيين الذين استمروا في السعي إلى بسط سيطرتهم على ما تبقّت بيدهم من جغرافية؛ وذلك عبر اتباع سياسة المقايضات مع النظام التركي (كمقايضة عفرين مقابل الغوطة الشرقية)، علماً إنّ سياسة "القضم والهضم" ما زالت تحظى بأهمية كبيرة في أجندات المشكّلين لآستانة، خاصة أنّ لكلّ طرف هدف يريد تحقيقه على الجغرافية السورية؛ فالنظام التركي كان يرغب بالقضاء على قسد والإدارة الذاتية حتى لو كلفه ذلك التنازلُ عن جميع مناطق نفوذه في إدلب التي تُعتَبَر مهمّة لكلّ من الإيرانيين والروس على حدّ سواء، وذلك لوجود جماعات متشدّدة هناك.

بشكل عام؛ وبعد مرور 13عاماً من عمر الأزمة في سوريا، يمكن الجزم بأنّ السياسة الإيرانية المتّبعة تجاه المعارضة الإسلامية المسلّحة أتت بثمارها؛ ويمكن ملاحظة ذلك في قدرتها على تحجيمها في بقعة جغرافية معزولة، وفرضها لمنطق الاستسلام والارتزاق عليهم بعد نجاحها في تشتيتهم وتصوريهم كقوة لا يمكن الاعتماد عليها في مستقبل سوريا عبر الاختراقات الاستخباراتية، وحاولت استثمار هذا النهج بهدف القضاء الكلّي عليهم، رغم صعوبة تحقيقه بسبب الأوضاع الإقليمية المعقّدة.

- **استهداف المراكز العسكرية الأمريكية والشركاء المحلّيّين لأمريكا:**

بعد التدخّل الإيراني في الأزمة السورية لصالح النظام السوري ضدّ معارضيه عام 2013م، والتدخّل الأمريكي عام 2014م لمحاربة القاعدة وداعش، لم يحدث أي احتكاك يُذكر بين الطرفين؛ كون كلّ طرف كان منكفئاً على محاربة أعدائه، لكن مع تغيّر الخارطة الجيوسياسية لصالحهما، وقرب انتهاء كل طرف من تحقيق أجنداته العسكرية نسبياً سعى كلّ منهما إلى توسيع رقعة سيطرته ونفوذه وإفشال أجندات ومشاريع الآخر في المنطقة؛ فإيران حاولت جاهدة إثارة القلاقل للقوات الأمريكية عبر الاعتماد على تكتيكات الحرب الهجينة، ولعلّ أبرزها: تشكيل ميلشيات محلّية وخارجية موالية لأيديولوجية الخميني (الولي الفقيه) من أجل مضايقة القوات الأمريكية واستهداف قواعدها العسكرية، إلى جانب تصويرها للقوات الأمريكية كقوة "مستكبرة" ومحتلّة للأراضي السورية والعربية رغبة منها في كسب تأييد الشعب في مختلف الأقاليم والمناطق، والانضمام لميلشياتها التي حاولت في أيار من عام 2017م اختبار القوات الأمريكية عبر التمركز بالقرب من قاعدتها العسكرية (التنف)، إلّا أنّ الأخيرة دمّرت تلك القوات وأوقعت العشرات من القتلى بينهم؛ الأمر الذي أجبر الحرس الثوري على تغييرات تكتيكاتها العسكرية تجاه القوات الأمريكية، واتّباع تكتيكات جدّية كقصف القواعد العسكرية عن طريق الطائرات المسيّرة، وتجنيد أشخاص في مناطق شرق الفرات من أجل مهاجمة القوافل والمصالح الأمريكية في المنطقة.

بعد أحداث 7 أكتوبر بين إسرائيل وحماس، وتزايد التوتّر على الساحة الإقليمية، وعلى الساحة السورية أيضاً، تزايدت استهدافات الميلشيات الإيرانية للقواعد الأمريكية بشكل كبير، وأخذت منحىً أكثر تصاعدًا؛ نظراً لمساندة كل طرف لأحد أطراف الصراع الدائر في غزة، حيث وصل الأمر بهم إلى استهداف القواعد الأمريكية في ثلاث دول مختلفة (العراق وسوريا والأردن)، ولعدّة مرات متتالية، من قبل جماعات تطلق على نفسها "المقاومة الإسلامية في العراق" والتي أسفرت في كانون الثاني عن مقتل 3 جنود أمريكيين في قاعدة "البرج22" القريبة من الحدود السورية الأردنية؛ الأمر الذي أثار استياء الأخيرة وخاصة أعضاء الحزب الجمهوري الذين طالبوا بردّ عسكري داخل إيران، إلّا أنّ بايدن اكتفى بقصف المنشآت والمواقع التي يتمركز فيها الحرس الثوري الإيراني والميلشيات التابعة له على الأراضي السورية والعراقية، إلى جانب إرسالهم لرسالة تحذيرية إلى إيران عبر القنوات الدبلوماسية لوقف هجماتها ضدّ الأمريكيين، وأمكن ملاحظة ذلك غداة قيام قائد فيلق القدس إسماعيل قاآني[16] بالتوجّه للعراق لحثّ الميلشيات على وقف هجماتها بشكل فوري، والإظهار للرأي العام بأنّهم لم ينسّقوا العملية مع الحرس الثوري من أجل تبرئتهم أمام الأمريكيين.

بعد حادثة استهداف "البرج 22" علّقت الميلشيات الإيرانية مختلف عملياتها؛ خوفاً من تجاوز خطوط الاشتباك المعمول بها والتعرّض لضربة استراتيجية داخل الأراضي الإيرانية التي لم تكتفِ ميلشياتها بقصف القواعد الأمريكية، بل قامت تلك الميليشيات بقصف شركاء أمريكا المحلّيين المتمثّلة بقوات سوريا الديمقراطية التي تعرّضت مقرّاتها لعدّة استهدافات من قبلها، كما كانت هناك محاولات واجتماعات مشتركة بين كل من حزب الله اللبناني والحرس الثوري والنظام لزيادة عملياتهم ضدّ قسد، بعد فشلهم في تحقيق أي نتائج تُذكر ضدّ القوات الأمريكية.

إنّ الاستهدافات الإيرانية على القواعد والمصالح الأمريكية كانت مرتبطة لدرجة كبيرة بالوضع الإقليمي المعقّد والمتشابِك، وبحالة الصراع الموجودة بينهم على الأراضي السورية وفي المنطقة بشكل عام؛ فلكلّ طرف مشروع مختلف يريد من خلاله الهيمنة على المنطقة، الأمر الذي مهّد لحدوث تناقضات وتوتّرات، وبالتالي زيادة الاستهدافات لمصالح الطرف الآخر، فإيران تعتقد بأنّ وجود القوات الأمريكية في هذه الجغرافية الحساسة يحول دون تنفيذ وتطبيق استراتيجيتها في سوريا، لذلك تعمل جاهدة عبر قوّتها الصلبة والتي تتمثّل في تشكيل ميلشيات وتنفيذ ضربات على القوات والقواعد الأمريكية، وكذلك عبر قوّتها الناعمة المتمثّلة في تصوير أمريكا كقوة مستكبرة

[16] مركز الامارات للسياسات، وحدة الدراسات العراقية، الضربة التي غيَّرت المشهد: ديناميات الصراع بين الولايات المتحدة والفصائل العراقية الموالية لإيران فبراير 2024، الرابط الالكتروني؛ https://epc.ae/ar/details/featured/dinamiat-alsirae-bayn-alwilayat-almutahida-walfasayil-aleiraqia-almualia-li-iran-baed-hujum-al-urdun بعد هجوم الأردن، تاريخ النشر 23

ومحتلّة للأراضي العربية من أجل تأجيج المشاعر المعادية لها إلى جانب إيهام العامة بأنّهم محور مقاومة ضدّ وجودهم ومصالحهم؛ والهدف الإستراتيجي من ذلك هو إجبار القوات الأمريكية على الانسحاب من المنطقة من أجل إتمام مشروعها؛ الأمر الذي خلق حالة من التوتّر بين الطرفين والتي ظهرت للعيان بعد سقوط النظام البعثي في سوريا.

- **إعادة توجيه خلايا داعش النائمة (بعد عمليات التسوية):**

تُعَدُّ العلاقات البراغماتية الإيرانية مع بعض الجماعات السُّنّية الجهادية من العلاقات المثيرة للجدل في المنطقة؛ كون الطرفين في حالة عداء إيديولوجي تاريخي، إلّا أنّ ذلك لم يمنعهما من الوصول إلى تفاهمات في خِضَمّ الصراع المُستعِر على منطقة الشرق الأوسط بين القوى الدولية والإقليمية وفق مبدأ "عدوّ عدوّي صديقي"، لعلّ أبرزها الصفقة الإيرانية الكبرى مع القاعدة عام 2001م([17])، حينما أوت قياداتها في طهران ثم زوّدتها لاحقاً بالأسلحة في العراق لمهاجمة القوات الأمريكية وفقاً للعديد من التحليلات والمؤشّرات؛ هذه العلاقة منحت الحرس الثوري خبرة في كيفية التعامل مع التنظيمات الجهادية لتنشأ بينها وبين تنظيم داعش علاقة مشابهة في كلّ من العراق وسوريا، وخاصة في الدولة الأخيرة التي منحتهم (الحرس الثوري) الكثير من الفعالية والمرونة لتحقيق أجنداتهم عبر التنسيق مع تنظيم داعش لزعزعة استقرار المنطقة وتسهيل دخول الميلشيات الإيرانية لها، كما أنّها (إيران) ترى بأنّ هناك دافعاً آخرَ للتنسيق مع التنظيم، ألا وهو العدوّ المشترك والمتمثّل بكلّ من التحالف الدولي لمحاربة داعش الذي تقوده أمريكا وبمشاركة برّية فعّالة من قبل قوات سوريا الديمقراطية، لذلك نشأت بين الطرفَين تفاهمات وتنسيق من أجل محاربة الطرفَين المذكورين عبر تجنيد أشخاص من مناطق شرق الفرات متعاونين معها، إلى جانب تسهيل وتقديم الدعم اللوجستي والاستخباراتي لخلايا داعش من قبل الحرس الثوري الإيراني من أجل القيام بهذه المهام بعد إجراء عمليات تسوية لهم مع النظام السوري لسهولة التنقّل بين منطقة وأخرى.

هذه العلاقة والتفاهمات الناشئة بين الطرفين أكّدتها العديد من المواقع والمصادر الإخبارية؛ لعلّ أبرزها تقرير المرصد السوري لحقوق الإنسان، والذي أفاد بحصول اجتماعات بين كل من قيادات داعش والحرس الثوري الإيراني من أجل إيقاف العمليات العسكرية ضدّ الميلشيات الإيرانية في مناطق غرب الفرات، أو التقليل منها عبر التواصل مع مختلف خلايا داعش المنتشرة في المنطقة وحثّها على عدم اعتراض القوافل الإيرانية القادمة من العراق، إلى جانب تنسيق جهودهم من أجل محاربة كلّ من القوات الأمريكية وقوات سوريا الديمقراطية، علماً أنّه - وبحسب التقرير - قامت الميلشيات الإيرانية بتقديم معلومات مفصّلة حول سجن غويران والمنطقة المحيطة به، بما في ذلك نقاط التفتيش التابعة لقوات سوريا الديمقراطية والدوريات والطرق التي كان من المستحيل على التنظيم جمعها لوحده ([18]) أثناء هجومه على سجن غويران في 20 كانون الثاني عام 2022م.

- **العمل على إنشاء بنية تحتية لحرب مُحتمَلة مع إسرائيل وتأمين الدعم اللوجستي العسكري لحزب الله:**

يُعَدُّ إنشاء بنية تحتية عسكرية ضدّ إسرائيل من أهم التكتيكات الثابتة في العقيدة العسكرية الإيرانية منذ عام 1979م، لذا؛ ما إن بدأت الاضطرابات والحرب الأهلية في لبنان حتى عمل الحرس الثوري على إيجاد تلك الأرضية عبر دعم حزب الله اللبناني وتطويره من النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية، وتزويده بصواريخ ومعدّات لوجستية ليصبح مع مرور الوقت الميلشيا الأكثر تنظيماً وقوة في لبنان بعد تأسيسها لبنية تحتية عسكرية ساهمت

[17] U.S Department of state (.gov)- Global public affairs- Remarks By President Trump On Iran Strategy- October 13, 2017- https://2017-2021-translations.state.gov/2017/10/14/remarks-by-president-trump-on-iran-strategy/

[18] المرصد السوري لحقوق الإنسان، بشكل حصري.. المرصد السوري يكشف بالوثائق والدلائل تفاصيل التعاون السري بين حزب الله والحرس الثوري وتنظيم "الدولة الإسلامية"، يوليو 14, 2023، الرابط الالكتروني؛ https://www.syriahr.com/%D8%A8%D8%B4%D9%83%D9%84-%D8%AD%D8%B5%D8%B1%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%B5%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A-%D9%8A%D9%83%D8%B4%D9%81-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%AB%D8%A7%D8%A6%D9%82/617683/

في تغيير موازين القوى لصالحها نسبياً في حرب 2006م. بعد اندلاع الأزمة السورية سحبت إيران تجربتها في لبنان، لكن هذه المرّة بمعيّة ذراعها حزب الله، إلى سوريا؛ حيث قام الطرفان بإنشاء بنية تحتية عسكرية ضدّ عدوّهما اللدود "إسرائيل"، وحاولتا - بشتّى الوسائل - التمركز بالقرب من المناطق المحاذية لها، رغبة منهما في تشكيل واقع أشبه بسيف ديموقليس ([19])عليها، وخلق حالة من البانتوفوبيا ([20]) لدى القادة الإسرائيليين الذين حاولوا - بشتّى الوسائل - تعطيل هذه النوايا، سواء بمفردهم من خلال الضربات والاستهدافات المتكرّرة على المواقع والبنى التحتية التابعة للميلشيات الإيرانية من جهة، ومن جهة أخرى عمل القادة الإسرائيليون على إيجاد تفاهمات مشتركة ضدّ الميلشيات الإيرانية عبر التنسيق مع كلّ من أمريكا وروسيا التي تجمعها علاقات مشتركة في سوريا؛ ويمكن ملاحظة ثمرة هذه التفاهمات في عام 2018م عندما قامت الأطراف الثلاثة، وبمشاركة الأردن، بالاتفاق على انسحاب الميلشيات الإيرانية على بُعد خمسة وثمانين كيلومتراً، على الأقل، من الحدود مع إسرائيل، إلّا أنّ هذا التفاهم لم يحقّق ما تصبو إليه الأخيرة؛ كون الميلشيات الإيرانية قامت بتغيير تكتيكاتها العسكرية من خلال تغيير ملابسها إلى بزّات عسكرية سورية؛ في مسعى واضح لتجنّب الضربات الجوية الإسرائيلية والبقاء بالقرب من حدودها، لا بل ازدادت بشكل كبير بعد أحداث 7 أكتوبر وأخذت منحنىً خطيراً بعد قيام الطائرات الإسرائيلية بقصف القنصلية الإيرانية في 1 أيار من هذا العام، والتي جاء ردّها خجولاً ولحفظ ماء وجهها على المستوى المحلّي والدولي على إثر ذلك الاستهداف الذي يُعتبَر بمثابة استهدافٍ للأراضي الإيرانية.

بعد مرور أكثر من عقد من الزمن على الأزمة، يمكن القول أنّ الميلشيات الإيرانية، بما فيها حزب الله اللبناني، قد نجحت بشكل كبير في تشكل بنية تحتية عسكرية ضدّ إسرائيل في الأراضي السورية، استناداً إلى التقارير الأخيرة الصادرة من المرصد السوري لحقوق الإنسان، والتي نُشِرَت على عدّة مواقع إلكترونية، مقدّرة عدد القواعد والنقاط العسكرية الإيرانية في سوريا بـ750 منها 55 قاعدة عسكرية، إلى جانب ذلك تمكّنت إيران من تأمين الدعم اللوجيستي العسكري لحليفها حزب الله؛ هذه التطوّرات المتسارعة والانشغال الروسي بالحرب الأوكرانية قد أفسح المجال مجدّداً أمام كلّ من حزب الله والميلشيات الإيرانية لترسيخ تواجدهم العسكري، وخاصة في منطقة الجنوب السوري.

يبدو أنّ البنية التحتية العملياتية التي شكّلتها إيران وحزب الله لاستخدامها ضدّ إسرائيل في أوقات التوتّر والحرب، وإصرارها المتزايد في تطويرها، قد تسبّبَ بأزمة كبيرة بين الطرفين فيما بعد، خاصة أنّ إسرائيل اعتبرت هذه البنية خطراً على أمنها القومي، بحسب تصريح العديد من قاداتها، ومنها تصريح وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق أفيغدور ليبرمان الذي قال أنّ «إسرائيل لن تسمح لإيران بتحويل سوريا إلى قاعدة أمامية ضدّها»([21]) ثم إنّ المنطقة الحدودية تتّسم بأهمية خاصة لقربها من إسرائيل، إذ إنّ مرتفعات القنيطرة، المطلّة على الجولان المحتلّ

---

[19] كان عضوًا في بلاط ديونيسوس الثاني حاكم سيراقوسة في جزيرة صقلية من سنة 367 ولغاية سنة 344 ق.م. كان ديموقليس متملقًا مغاليًا. قال شيشرون، الخطيب الروماني: "إن ديموقليس غالى في وصفه لسعادة وحظ ديونيسوس". لتلقين ديموقليس درسًا، دعاه ديونيسوس إلى حفل كبير، وبعدما أخذ مقعده، وجد ديموقليس سيفًا معلقًا بشعرة واحدة وهو متدل فوق رأسه، وظل ذلك يعبر عن الخطر المتكرر الذي يواكب الثروة والسعادة المادية التي يهتم بها. وقد أصبح سيف ديموقليس.

https://www.tagepedia.org/Entry.aspx?id=150213&title=%D8%AF%D9%8A%D9%85%D9%88%D9%82%D9%84%D9%8A%D8%B3&lang=ar

[20] لا يُعترف برهاب البانتوفوبيا على أنه اضطراب منفرد، بل يُنظر إليه على أنه اضطراب القلق العام أو اضطراب الهلع ولكن لقرون تم تعريف هذا الرهاب على أنه الخوف الشديد والمنهك من كل شيء، في ذلك الوقت، تم استخدامه للأفراد الذين أظهروا قلقًا مستمرًا ويصعب السيطرة عليه مما جعلهم يخشون كل شيء.

الموسوعة الأوروبية، أسباب رهاب البانتو فوبيا- تاريخ النشر27010-2023م، الرابط الالكتروني:

https://europe.lifestyle-4u.net/articles/216046/%D8%AA%D8%A7%D8%A8%D8%B9-%D9%85%D8%B9%D9%86%D8%A7-%D8%A3%D8%B3%D8%A8%D8%A7%D8%A8-%D8%B1%D9%87%D8%A7%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%A7%D9%86%D8%AA%D9%88%D9%81%D9%88%D8%A8%D9%8A%D8%A7

[21] US Institute of Peace- Mona Yacoubian- Iran and Israel Are Racing Toward Confrontation in Syria- 21May2018- https://www.usip.org/publications/2018/05/iran-and-israel-are-racing-toward-confrontation-syria

والمتاخمة للبنان، تمنح إيران نقطة ضغط ضدّ إسرائيل؛ وهذا ما يفسّر مسارعة إسرائيل إلى احتلال جبل الشيخ والتوغّل في مناطق من الجنوب السوري بعد سقوط النظام البعثي.

- **محاربة الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا:**

لم تحتلّ إيران وميلشياتها أي أجزاء من مناطق شمال وشرق سوريا، إلّا أنّها كانت تسعى عبر أساليب مختلفة، بما فيها الحرب الهجينة، للسيطرة على هذه المنطقة وإلحاقها باستراتيجيتها حيال سوريا، ومن ضمن هذه الوسائل تشكيل ميلشيات تحت مسمّيات عاطفية ووهمية، كقوات العشائر، والتي تنحصر مهمّتها في إذكاء الفتن والدسائس بين أهالي مقاطعة ديرالزور كي تعمّ الفوضى، وبالتالي؛ تسهل الهيمنة عليها خاصة أنّها تحتل مكانة مهمّة في استراتيجيتها، ويمرّ من خلالها الممرّ البرّي الذي يوصلها إلى شرق البحر الأبيض المتوسط، لذا؛ فإنّ فمحاولات الهيمنة عليها متواصلة من قبل كل من الميلشيات الإيرانية والنظام السوري وحزب الله، كما أنّ الأولى لا تكتفي بتشكيل الميلشيات بل تعمل على سحب تجربتها في منطقة غرب الفرات إلى مناطق شمال وشرق سوريا ونشر أيديولوجيتها بين مكوّناتها، خاصة في مناطق التماس، وذلك عبر عدةّ آليات؛ أولًا: التجربة المريرة لأصحاب المذهب السنّي مع داعش وإظهارها للمذهب الشيعي كمبدأ للخلاص من الظلم. ثانيا: تنسيب العديد من العشائر الموجودة في مناطق شمال وشرق سوريا إلى آل البيت من أجل تسهيل تشييعهم. ثالثا: استغلال حالة الفقر الموجودة في عموم سوريا وتنظيم الأعمال الخيرية، من أجل كسب متعاطفين مع إيران، وتنظيم الشباب منهم في ميلشيات عسكرية هدفها محاربة قوات سوريا الديمقراطية وقوات التحالف الدولي على السواء، عبر تصويرهما كقوة كافرة أو محتلّة أو انفصالية.

إلى جانب ذلك؛ عملت إيران، وبالتعاون مع حزب البعث، على تصوير الإدارة الذاتية بـ"الكردية" من أجل خلق حالة من التوتّر بين المكوّنات، وتحريض الأفكار القوموية المتطرّفة والعنصرية، عبر اتّهام قوات سوريا الديمقراطية بالتعاون مع أمريكا، والترويج لعودة النظام السوري إلى المنطقة طيلة عقد من الزمن، وتسخير كوادر حزب البعث من أجل القيام بهذه المهمة؛ وذلك عبر حثّ الأشخاص على القيام بعمليات تسوية مع النظام السوري من أجل تعزيز سلطة الأخير في المنطقة، وتشكيل خلايا نائمة للقيام بالعمليات التخريبية ونشر الشائعات وأعمال الجريمة المنظّمة في مناطق الإدارة الذاتية، كما أنّ إيران وميلشياتها انخرطت في جهود واسعة مع كل من الاحتلال التركي وروسيا في تنفيذ العمليات التآمرية ضدّ الكرد والمكوّنات الأخرى في إطار محادثات آستانة وسوتشي التي تُعَدُّ جزءاً من المقايضات التي حصلت بين محور آستانة، وتتحمّل جزءاً من المعاناة التي حصلت بحقّ الكرد في عفرين.

استناداً على ما تم ذكره؛ تعارض إيران حالة الاستقرار النسبيّ والمناخ الديمقراطيّ التي تم تحقيقها في مناطق شمال وشرق سوريا، خاصة فيما يتعلّق بالقضية الكردية، لذا؛ فقد عملت مع كل من النظام السوري وميلشياتها لإفشال هذه التجربة، بالإضافة إلى ذلك عملت على زيادة تغلغلها انطلاقاً من المربعات الأمنية الموجودة في كل من قامشلو والحسكة، واستقدام أسلحة وميلشيات تابعة لها للتمركز في نقاط النظام السوري، وقد كشفت الضربات الإسرائيلية بتاريخ ٢٠٢٤.١٢.٠٩ لفوج طرطب في ريف القامشلي حجم تلك الأسلحة؛ حيث حاولت قدر الإمكان أن يكون نشاطها سرّيّاً؛ وذلك عبر الاعتماد بشكل كبير على أعضاء حزب البعث السابقين وبعض رؤساء العشائر الموالين للنظام من أجل نشر أيديولوجيتها وإيجاد حاضنة شعبية لها في مناطق شمال وشرق سوريا التي تُعْتَبَر من المناطق العصيّة عليها.

خامساً- العوائق التي اعترضت وأفشلت الاستراتيجية الإيرانية في سوريا (سقوط النظام البعثي):

واجهت إيران عدداً من الخصوم والمنافسين في الجغرافيا السورية، بسبب تضارب المصالح فيما بينها، وشكّل هؤلاء الخصوم والمنافسين تحدّياً كبيراً أمام إيران لتطبيق مشروعها السياسي والأمني والعسكري والأيديولوجي في سوريا التي تُعَدُّ مهمّة في استراتيجية الخصوم كالولايات المتحدة وحلفائها، والمنافسين كتركيا وروسيا، حيث كان

الجميع في صراع وتنافس كبيرَين، واستناداً إلى ذلك؛ يمكن تحديد عدد من العوائق التي اعترضت الاستراتيجية الإيرانية في سوريا، ويبدو أنّها كانت سبباً في فشل إيران في تحقيق مشروعها في سوريا بالشكل الذي كانت تطمح إليه:

- **الرفض الأمريكي والإسرائيلي والعربي للهيمنة الإيرانية على سوريا:**

شكّلت الاستراتيجية الإيرانية الخاصة بسوريا تهديداً لمصالح واستراتيجيات عدّة دول كإسرائيل ومعظم الدول العربية والولايات المتحدة؛ فالأولى تنظر إلى التواجد الإيراني في المنطقة بأكملها، وبالأخص في سوريا، كتهديد مباشر لوجودها وأمنها القومي، لذا؛ فإنّ القادة الإسرائيليين يعتبرون أنفسهم في خِضَمّ حرب عالمية ثالثة مع إيران([22])، وبناء على ذلك؛ فقد حشدوا جميع الموارد العسكرية والسياسية والاقتصادية وغيرها من أجل إيقاف هذه التهديدات القادمة من سوريا، حيث استندت إسرائيل في بادئ الأمر على تكتيك "حرب الظلّ"، والتي اقتصرت على تنفيذ أعمال غير مباشرة على غرار العمليات السرّيّة والاغتيالات المستهدِفة لشخصيات عسكرية إيرانية، إلّا أنّه وبعد ازدياد وتيرة التدخّل الإيراني وسيطرتها على القرار العسكري للنظام السوري غيّرت إسرائيل استراتيجيتها وتكتيكاتها العسكرية لمواجهة الوجود الإيراني وفق مسارَين؛ الأول إبرامها لتفاهمات واتفاقيات مع كلّ من روسيا وأمريكا للضغط على النظام السوري وإيران لإبعاد ميلشياتهم عن حدودها، وخاصة حزب الله الذي تلقّى ضربات كبيرة من قبل الجيش الإسرائيلي، أمّا الثاني - والذي كان أكثر تأثيراً على الوجود الإيراني - فهو استهدافها لجميع الأماكن والأعيان المرتبطة بالميلشيات الإيرانية، بما فيها شحنات الأسلحة والنقاط والقواعد وحتى المستشارين العسكريين الإيرانيين، بالتنسيق مع كلّ من أمريكا وروسيا على ما يبدو. وعلى الرغم من الضغط والاستهدافات المتواصلة إلّا أنّ إسرائيل لم تحقق ما تصبو إليه في كبح جماح الميلشيات الإيرانية وإجبارها على الانسحاب من سوريا بشكل كلّي؛ وهو ما دفعها إلى اتّخاذ خطوات أكثر تأثيراً وفتكاً، كالقيام بعمليات عسكرية برّية محدودة، وتهيئة الأجواء لعملية عسكرية واسعة لا سيّما أنّها حقّقت أبرز أهدافها في غزة ولبنان وعملت على تكرار تجربتها في سوريا أيضا بعد عجز الروس والنظام السوري عن إعطاء ضمانات للإسرائيليين بعدم قيام أي عناصر أو جهة باستهداف الأراضي الإسرائيلية؛ حيث توغّل الجيش الإسرائيلي لمسافة معيّنة في الأراضي السورية، إلى جانب إزالتها للألغام ([23]) بحسب بعض المصادر؛ هذه التحرّكات والعمليات الإسرائيلية قد دخلت في جانبها العملي بعد سقوط النظام البعثي بوصول القوات الإسرائيلية إلى مشارف دمشق وإعلان سيطرتها على الجانب السوري من جبل الشيخ؛ وبذلك تمكّنت من كسر الطوق المفروض عليها من قبل الميلشيات الموالية لإيران، الأمر الذي وجّه ضربة قوية لاستراتيجية الأخيرة.

بدورها حاولت الدول العربية الوقوف في وجه النفوذ الإيراني في سوريا، وذلك عبر دعم الفصائل السُّنّية، إلّا أنّ رهانها عليها قد باء بالفشل بعد تصفية معظمها وتحوّلت الباقية منها إلى مرتزقة لدى الدولة التركية؛ الأمر الذي أجبرها على اتّخاذ منحىً آخرَ، لا سيّما بعد خروج العديد من المناطق من سيطرة الفصائل الإسلامية المعارِضة، ألا

---

[22] موقع i24NEWS، يسرائيل كاتس وزيرًا لخارجية إسرائيل مرة أخرى: "نحن في خضم حرب عالمية ثالثة"، تاريخ النشر 02 يناير 2024، الرابط الالكتروني؛
https://www.i24news.tv/ar/%D8%A3%D8%AE%D8%A8%D8%A7%D8%B1/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%AA%D8%AE%D8%A7%D8%A8%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84%D9%8A%D8%A9/1704193234-%D9%8A%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84-%D9%83%D8%A7%D8%AA%D8%B3-%D9%88%D8%B2%D9%8A%D8%B1-%D8%A7-%D9%84%D8%AE%D8%A7%D8%B1%D8%AC%D9%8A%D8%A9-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84-%D9%85%D8%B1%D8%A9-%D8%A3%D8%AE%D8%B1%D9%89-%D9%86%D8%AD%D9%86-%D9%81%D9%8A-%D8%AE%D8%B6%D9%85-%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D8%AB%D8%A7%D9%84%D8%AB%D8%A9

[23]Reuters- By Suleiman Al-Khalidi and Maya Gebeily- October 15, 2024- Israel's demining near Golan signals wider front against Hezbollah, sources say-
https://www.reuters.com/world/middle-east/israels-demining-near-golan-signals-wider-front-against-hezbollah-sources-say-2024-10-15/

وهو إعادة العلاقات الدبلوماسية مع النظام السوري المتهالِك والمنهار من مختلف النواحي، خاصّة من الناحية الاقتصادية، وتشغيل مقعده المجمّد في الجامعة العربية، آملة أن يبدي الأخير مرونة تجاه مخاوفها، وعلى رأس تلك المخاوف الوجود الإيراني وتجارة المخدّرات، وفق مبدأ "خطوة مقابل خطوة" التي فشلت لوجود العديد من العوائق السياسية والعسكرية والاقتصادية أمامها؛ الأمر الذي فرض على الدول العربية إيجاد حلول واقعية، كالتنسيق مع إسرائيل وحتى دعمها في بعض الجوانب من أجل القضاء على الوجود الإيراني في سوريا، ويبدو أنّ هذا السيناريو قد حصل بطريقة غير مباشرة وغير معلَنة، علماً أنّ بعض المحلّلين قد حلّلوا بأنّه بعد 2015 اتّبعت أمريكا تكتيكاً جديداً ضمن استراتيجيتها فيما يخصّ اعادة هندسة منطقة شرق الأوسط؛ حيث تعمّدت سحب الدعم من الجيش الحر، وطبعاً الدول العربية معها، لتفسح المجال للتوغّل الروسي والايراني والتوسّع لصالح سيطرة النظام على حساب تراجع المعارضة بالتنسيق مع تركيا، أمّا هي – أمريكا – فقد تفرّغت لمحاربة الإرهاب (داعش)؛ وهذه الخطوة كانت كفيلة بمنحهما - بشكل مبدئيّ - وَهْم الانتصار، ولكنّها أمريكا في الحقيقة كانت تريد توريطهما في المستنقع السوري بعدما تم ربط الأزمة السورية بالأزمات الدولية كأوكرانيا وأيضا بغزة ولبنان ومن ثم المقايضات معهم حالياً (سوريا مقابل أوكرانيا).

على الرغم من ذلك، كان هناك غموض حول مدى جدّية معارضة أمريكا للتدخّل والتواجد الإيراني في سوريا؛ فتحرّكاتها ضدّ المصالح الإيرانية كان قائماً على ردّة الفعل (أي الردّ على الميلشيات التي تستهدف قواعدها العسكرية) والتنسيق مع إسرائيل أثناء استهدافها للنقاط والأعيان المرتبطة بإيران ومدّها بالمعلومات الاستخباراتية. بشكل عام؛ أصدرت القيادة الإيرانية مؤشّرات عن رغبتها في تخفيف التوتّر مع الولايات المتحدة، وما يشير إلى ذلك هي تصريحات مسعود بزشكيان "نحن لسنا معادين للولايات المتحدة، وعليهم أن ينهوا عداءَهم تجاهنا من خلال إظهار حُسن نيّتهم في الممارسة العملية". مضيفاً: "نحن إخوة مع الأميركيين أيضاً"([24]). يُعَدُّ رفض هذه الدول للتواجد والتمركز الإيراني في سوريا من أصعب العوائق التي واجهت الاستراتيجية الإيرانية وحتى إفشالها في الفترة الأخيرة، وذلك استناداً إلى عدد من المتغيّرات الحاصلة على الساحة؛ وأوّلها هو تقلّب المعادلة السياسية والعسكرية في سوريا لصالح كلّ من إسرائيل وأمريكا والدول العربية وخاصة السعودية، فمثلاً الأولى بدأت بالسيطرة على مساحة واسعة من الأراضي السورية والتي كانت حلماً لها ذات يوم، ولاسيّما مناطق في الجنوب السوري التي كانت بمثابة الخاصرة الرخوة لها نظراً للانتشار الكثيف للفصائل الموالية لإيران فيها، كما أنّ إسرائيل ساهمت بطريقة غير مباشرة في إسقاط النظام البعثي بفعل الضربات التي وجّهتها لكلّ من حزب الله اللبناني وإيران نفسها؛ الأمر الذي حفّز "هيئة تحرير الشام" على القيام بعملية "ردع العدوان" في سياق عملية إسقاط "نظام البعث" (الذي كان - وبحسب العديد من المحلّلين السياسيين - نتيجة تفاهم أمريكي - روسي – إسرائيلي؛ فقبل وصول الجولاني الى دمشق وصل أحمد العودة الى العاصمة، كما أنّه قبل مغادرة بشار الأسد لسوريا طلب من جيشه حلّ نفسه، الأمر الذي يشير إلى ترتيب مُسبَق لتحقيق خروج ايران من سوريا وسيطرة إسرائيل على الجولان، والحصول على خرائط أماكن تخزين الأسلحة وتدميرها، مقابل السماح لبشار بمغادرة البلاد وعدم الوقوع بيد الفصائل المسلّحة) وتوجيه ضربة قاصمة إلى ما يسمّى "محور المقاومة" وأصبح مفكّكاً وغير قادر على مساندة بعضه بعضاً على أرض المعركة؛ أمّا أمريكا فيبدو أنّها تواصل تطبيق استراتيجيتها في سوريا والتي أعلن عنها بومبيو (وزير الخارجية الأمريكي السابق) في عام 2019م؛ والتي ارتكزت على القضاء على داعش، وطرد آخر جندي إيراني من الأراضي السورية، وتنفيذ القرار الدولي /2254/ ([25])،

[24] By Reuters- Iran's president says direct talks with U.S. possible if it abandons its hostility- September 16, 2024- https://www.reuters.com/world/middle-east/irans-president-says-direct-talks-with-us-possible-if-it-abandons-its-hostility-2024-09-16/

[25] موقع فرانس برس، بومبيو يؤكّد أنّ واشنطن ستعمل بـ"الدبلوماسية" على "طرد آخر جندي إيراني" من سوريا، نشرت في 2019م، الرابط الالكتروني؛ https://www.france24.com/ar/20190110-%D8%A7%D9%84%D9%88%D9%84%D8%A7%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D8%A9-%D8%A8%D9%88%D9%85%D8%A8%D9%8A%D9%88-%D9%88%D8%B2%D9%8A%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D8%A7%D8%B1%D8%AC%D9%8A%D8%A9-%D8%A5%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%84%D9%8A%D8%AC-%D9%85%D8%B5%D8%B1

الذي تعمل حالياً على تطبيقه على أرض الواقع بمساعدة الدول العربية التي كان لها دور أيضاً في إفشال الاستراتيجية الإيرانية في سوريا، وذلك عبر التنسيق المتواصل مع الطرفَين المذكورَين من أجل احتواء نفوذ إيران والقضاء على وكلائها في المنطقة. استناداً إلى ما تمّ ذكره؛ يُعْتبَر رفض هذه الدول، وبالأخص إسرائيل، من أكبر العوائق التي واجهت الاستراتيجية الإيرانية التي كانت مرتبطة، إلى حدّ كبير، ببقاء رأس النظام البعثي، وهذا ما يمكن تفسيره من خلال تصريحات المسؤولين الإيرانيين، وعلى رأسهم خامنئي الذي قال: "ما حصل في سوريا كان مخطّطاً له بشكل أساسيّ في غرف القيادة بأمريكا وإسرائيل، ولدينا دليل على ذلك"، هذه التصريحات تثبت أنّ هذه الأطراف الثلاثة المذكورة قد لعبت دوراً كبيراً في إفشال الاستراتيجية الإيرانية في سوريا.

- **العقوبات الدولية على إيران والنظام السوري ورغبتهما في التطبيع مع العالم العربي:**

منذ بدء الأزمة في سوريا وحتى قبلها أيضاً كان الغرب يفرض عقوبات دولية مفروضة على النظامَين السوري والإيراني، خاصّة أمريكا التي اعتبرت النظام السوري من بين الدول الراعية للإرهاب بعد قيامه بفرض وصاية على لبنان لمدة 29 عاماً، ودعمه لحزب الله اللبناني والحركات الفلسطينية وعرقلته للاستراتيجية الأمريكية في المنطقة؛ ما دفع بالأمريكيين لفرض عقوبات على كيانات وأشخاص مرتبطين به، إلّا أنّ هذه العقوبات تضاعفت بعد الأزمة في البلاد ليس فقط من جانب أمريكا بل من دولاً أخرى أيضاً، وقد شملت هذه العقوبات عدداً من القطاعات كرد على الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان التي ارتكبتها الحكومة السورية والكيانات والأفراد المرتبطين بها بحسب تصريحات الدول الغربية وغيرها، ومن هذه العقوبات؛ العقوبات المالية: حيث تم تجميد الأموال والأصول وحظر التمويل؛ والعقوبات الاقتصادية: كالعقوبات المفروضة على المنتجات النفطية السورية؛ والعقوبات المتعلقة بحركة الأشخاص: مثل فرض حظر سفر على العديد من المسؤولين ورجال الأعمال السوريين ومنعهم من دخول العديد من الدول؛ والعقوبات الدبلوماسية: كقيام العديد من الدول بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع سوريا، وقد تم فرض هذه العقوبات من قبل منظمات دولية كالاتحاد الأوروبي وجامعة الدول العربية، أو تمّ فرضها بشكل فردي من قبل بعض الدول كالولايات المتحدة الأمريكية وكندا وأستراليا([26])، والتي كان أبرزها قانون قيصر([27]).

هذه العقوبات المفروضة على النظام السوري أثّرت عليه وعلى حليفته (إيران) بشكل كبير، على الرغم من محاولته الالتفاف عليها عن طريق تنشيط "اقتصاد الفساد"، وذلك عبر استغلال المساعدات الإنسانية المقدّمة للشعب السوري، والاعتماد على التهريب وتجارة الممنوعات كالمخدّرات التي تم تحويلها إلى ورقة ضغط ضدّ بعض الدول العربية كالأردن بناءً على معظم التقارير التي تداولت هذا الملف، بالإضافة إلى استغلال الأزمات الحاصلة في الدول المجاورة كلبنان والعراق وتجاهل العقوبات وخرقها عبر عقد اتفاقيات تبادل تجاري مع دول تشارك النظام نزعته لخرق العقوبات، أو عبر مسار التطبيع العربي الذي تزايد في السنوات الأخيرة، ووصلت إلى حدّ إعادة سوريا إلى مقعدها في الجامعة العربية (علماً أنّ العودة كانت مرتبطة، حتى وإن لم يتم الإعلان عنها، بعدم انخراط النظام السوري في محور المقاومة خاصة في غزة ولبنان، وهنا بدأت شرارة الخلاف بين الأسد وإيران؛ حيث اتّهمت الأخيرة استخبارات الأسد، ولأوّل مرّة وبشكل عَلَنيّ منذ دخولها سوريا، باحتمالية تورّطها في إعطاء احداثيات القنصلية الإيرانية بدمشق)؛ فإيران أرادت أن تكسر العزلة المفروضة على حليفتها، وبالتالي عليها أيضاً عبر القنوات الدبلوماسية، فمثلاً كان لإعادة العلاقات الإيرانية - السعودية دور كبير في عودة العلاقات بين النظام السوري والدول

---

[26] البرنامج السوري للتطوير القانوني، لمحة مختصرة عن بعض أنظمة العقوبات المفروضة على سوريا، تاريخ الإصدار ١٩ أذار ٢٠٢٠م، الرابط الإلكتروني؛ https://c5a8d841-f233-4eb1-b756-6b4df54e9f1d.filesusr.com/ugd/92fa9e_abb05a45676a478aaf67bf9742b84bbb.pdf

[27] للمزيد عن قانون قيصر راجع هذا الرابط: https://2017-2021-translations.state.gov/2020/06/17/%D9%82%D8%A7%D9%86%D9%88%D9%86-%D9%82%D9%8A%D8%B5%D8%B1-%D9%84%D8%AD%D9%85%D8%A7%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AF%D9%86%D9%8A%D9%8A%D9%86-%D9%81%D9%8A-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7/

العربية، إلّا أنّها لم ترتقِ إلى حدّ كسر العُزلة الاقتصادية المفروضة على النظامَين، ووقفت عائقاً أمام تحقيق أجنداتهما التي تعرّضت في الفترة الأخيرة لضربات قاصمة بعد تعرّض حليفهما (حزب الله اللبناني) الذي كان يشترك معهما في كيفية الالتفاف على العقوبات وتأمين الدعم المادّي للنظام السوري عبر طرق غير شرعية. بشكل عام؛ نجحت العقوبات في تقليص الموارد المالية للنظام وحليفه الإيراني، وسهّل من عملية سقوطه المدوّي؛ كونها قد أثّرت بشكل كبير على حالة عدم الاستقرار لدى النظام، فمثلاً لم يستطع الأخير تحويل الانتصارات العسكرية الميدانية إلى انتصارات سياسية واقتصادية بسبب العقوبات التي فرضتها عليه الدول الغربية وخاصة أمريكا على الرغم من التفافه عليها، ثانياً: التأثير الكبير للعقوبات على الوضع الاقتصادي للنظام البعثي؛ حيث أفقدته شعبيته ليس فقط في مناطق سيطرته وحتى بين جنوده الذين لم يحاربوا ويدافعوا عنه بسبب الفساد والفقر المتفشّي بينهم، وبسبب اعتماده بشكل كبير على الغنائم والإتاوات المفروضة على المدنيين والتجّار، ثالثاً: إرهاق العقوبات الغربية لحلفاء النظام البعثي المتمثّلين بروسيا وإيران؛ فالأولى لم يعد بإمكانها مساندته بسبب تدهور حالتها الاقتصادية نتيجة الحرب في أوكرانيا والعقوبات العالمية المفروضة عليها، أمّا الثانية فقد قدّمت مختلف أنواع الدعم ولم يكن بمقدورها ضخّ المزيد من الأموال في ظلّ تعرّضها لضغوط داخلية وخارجية كبيرة.

- **طبيعة العلاقة التنافسية مع كل من تركيا وروسيا:**

الموقع الجيوسياسي الهام لسوريا في معادلة الشرق الأوسط عرّضها لتدخّلات إقليمية ودولية عديدة حوّلت أراضيها إلى ساحة صراع سياسيّ وعسكريّ وحروب بالوكالة بين القوى المتصارِعة؛ فالصراع في سوريا لا يشبه مثيلاته في الدول الأخرى لتبايُن وكثرة القوى الفاعلة وتضارب أجنداتها ومصالحها، فبحكم التدخّل المباشر لكل من روسيا وتركيا في الأزمة لصالح الأطراف المحلّية نشأت بين الدولتَين المذكورتَين وإيران التي سبقتهما في التدخّل، علاقات تقارب وتنافس في نفس الوقت، وذلك بسبب اختلاف أجنداتها وأهدافها في سوريا، إلّا أنّه على الرغم من ذلك لم تصل العلاقات بينها إلى مراحل الصراع المباشر والقطيعة، باستثناء بعض الحالات التي برزت قبل اتفاقيات خفض التصعيد.

فمثلاً؛ العلاقة بين تركيا وإيران تتّسم بنوع من التنافس والتوافق التكتيكي نظراً لتبنّي كل طرف لمسار مغاير للطرف الآخر في الأزمة الراهنة واختلاف استراتيجيتهما في سوريا، إلّا أنّ العلاقات بينهما لم تصل إلى حالة الصراع والاستهداف المباشر لمصالح الطرف الآخر، وبقيت في خانة حروب الوكالة لإضعاف الطرف الآخر، وفي حال تطوّر الصراع بين وكلائهما على الأرض إلى تهديد مصالح الآخر، لجأ الطرفان إلى المفاوضات لتنسيق أجنداتهما وتقاسم النفوذ فيما بينهما عبر عقد اجتماعات في آستانة وسوتشي بالاشتراك مع روسيا. هناك نقاط خلاف كبيرة بين الأطراف الثلاثة على الشكل النهائي لسوريا المستقبلية باستثناء القضية الكردية التي يتّفق الثلاثة حولها، ولعلّ أبرز تلك النقاط هي التضادّ الايديولوجي المذهبي الذي لا يُغتَبر وليد اللحظة، بل ممتدّ إلى عهد الإمبراطوريتَين (العثمانية والصفوية) على المنطقة، ومن بينها الجغرافية السورية التي تشهد حالة صراع إيديولوجي بين الطرفَين، إيران وتركيا، فكلّ دولة منهما تقوم بنشر أفكارها وأيديولوجيتها بين الشعب السوري وتجنّد الشباب السوري في صفوف ميلشياتها ومرتزقتها، وهناك صراع خَفِيّ بين الطرفَين على مدينة حلب، فإيران تنظر إليها (حلب) كجزء من تاريخها الثقافي ولها رمزية كبيرة عند الشيعة وقد جاء ذلك على لسان علي خامنئي، في 7 ديسمبر 2016، بقوله: "ندافع عن إيران من حلب"، مضيفًا: "ينبغي ألّا ننتظر حتى يأتي العدو إلى داخل بيتنا لنفكّر بالدفاع عن حياضنا، بل يتعيّن قمع العدو عند حدوده" ([28]). أمّا الأتراك ومسؤولوهم فيعتبرونها (حلب) من المناطق التاريخية التابعة لهم وتقع ضمن ما

[28] https://www.futureuae.com/ar-AE/Mainpage/Item/2319/%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%AD%D9%82%D8%A7%D9%82%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D8%A4%D8%AC%D9%84%D8%A9-%D8%B1%D8%A4%D9%8A%D8%A9-%D8%A5%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86-%D9%84%D8%AA%D8%AF%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D9%85%D8%A7-%D8%A8%D8%B9%D8%AF-%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%83%D8%A9-%D8%AD%D9%84%D8%A8 ديسمبر، 2016م، الرابط الالكتروني؛ 29 مركز المستقبل، رؤية إيران لتداعيات ما بعد معركة حلب،

يسمّى مناطق "الميثاق الملّي"، أضف على ذلك أنّ إيران ترى في مناطق الاحتلال التركي امتداداً لنفوذ الناتو، وبالأخصّ أمريكا، الأمر الذي يثير من مخاوفها بشكل أكبر، لذلك حاولت قدر الإمكان احتواء النفوذ التركي عبر الضغط على النظام البعثي وتحويل مسألة انسحاب الأتراك من المناطق المحتلّة كشرط لإعادة العلاقات بين الطرفَين، ويبدو أنّ القادة الإيرانيين كانوا على دراية بأنّ أمريكا تحاول تقليص نفوذهم عبر دعم الأتراك في المنطقة وتغيير الواقع السياسي والعسكري في سوريا؛ وذلك عبر إسقاط الحليف المقرّب لطهران في 8 كانون الأول 2024م بعد سنوات من عمليات خفض التصعيد في منطقة إدلب تحت الرعاية التركية، التي استفادت منه "هيئة تحرير الشام" كي تقضي على منافسيها وتحسّن صورتها أمام الرأي العام، إلى جانب قيامها بتطوير قدراتها العسكرية وتلقّيها أسلحة من جهات خارجية سهّلت من سقوط النظام البعثي، وبالتالي؛ تعرّضت إيران لنكسة أخرى على المستوى الإقليمي ولكن هذه المرة بمساعدة النظام التركي، ويمكن استنتاج ذلك من تصريحات خامنئي[29]عندما قال إن دولة جارة لسوريا اشتركت مع إسرائيل وأمريكا في إسقاط حليفها؛ الأمر الذي قد يؤدّي إلى نوع من التصعيد بينهما في الفترة الحالية، بعد أن ردّت تركيا على لسان وزير خارجيتها، فيدان، بأنّه على طهران إدراك الوضع الجديد في سوريا وألّا تحوّلها إلى ساحة للتجاذبات الإقليمية مجدّداً، وعلى الرغم من العلاقة التنافسية بينهما والأهمية الجيوسياسية لسوريا في مخططاتهما الإقليمية، إلّا أنّ كلتا الدولتين حريصتان على عدم تدهور العلاقة وعلى تجاوز الخلافات في بعض القضايا، وعدم الوصول إلى حالة تصارعية – تباعدية، والنقطة التي يتّفق عليها الطرفان في سوريا هي الوقوف سدّاً منيعاً أمام أي حركة سياسية تطالب بمبادئ الديمقراطية التعدّدية تضمن حقوق جميع المكوّنات، ولعلّ اتفاقاتهما وتفاهماتهما في آستانة ضدّ مناطق الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا تثبت توجهاتهما؛ حيث عمد الطرفان لنشر بروباغندا ضدّ الإدارة واتّهامها بأنّها ذات طابع "كردي انفصالي" ومرتبطة بتوجّهات غربية لخلق حالة من الذعر وعدم الثقة وبثّ الفوضى في المنطقة.

أمّا طبيعة العلاقة بين روسيا وإيران فقد أدّت ديناميات الأزمة السورية إلى نشوء تعاون عسكريّ سياسيّ بين الطرفَين، فعلى الرغم من الاختلافات والتباينات والتعارضات التاريخية والمعاصرة بينهما، إلّا أنّ ذلك لم يقف عائقًا جدّياً أمام تحقيق أهدافهما المشتركة على الأراضي السورية، بالوقوف في وجه المعارضة المسلّحة التي كادت أن تطيح بحليفهما لولا تدخلهما المباشر لصالحه بين أعوام 2013و2015م، وعلى الرغم من اشتراكهما في بعض النقاط إلّا أنّه كانت هناك بعض الأمور التي نظر إليها كل طرف من منظوره الخاص، ولعلّ أبرزها؛ المستقبل السياسي للبلاد وبالتحديد "منصب الرئيس"، فالروس أبدوا نوعاً من البراغماتية في عدّة مناسبات بأنّه لا يوجد لديهم أي اعتراض في تغيير رأس النظام البعثي مع بقاء الدولة بمؤسساتها الحالية، على عكس السلطة في إيران التي كانت تعتبر أنّ بقاء النظام البعثي أمر ضروريّ لضمان حُسن سير مشروعها، وأنّ أيّ تغيير فيه سيخلّ بالتوازن الجيوسياسي التي تسعى إيران لإقامته في المنطقة؛ كونها لديها ارتباطات مذهبية واقتصادية وسياسية مع السلطة الحاكمة، وتعتبر نفسها، وبالاشتراك مع حزب الله اللبناني ضمن ما يُسمّى "محور المقاومة"، إلى جانب ذلك كان هناك تنافس شديد بين الدولتَين على النفوذ الاقتصادي والعسكري؛ فمن الجانب الاقتصادي كان هناك صراع حادّ على خطوط الغاز (التي تراها روسيا خطراً على أمنها القومي) والنفط وعقود الإعمار والاستثمارات وعقود في مجالات الزراعة والنفط والصناعة والثروة الحيوانية والموانئ والكهرباء وحتى المطارات؛ فكلّ طرف كان يسعى إلى إبرام اتفاقات مع السلطة للحصول على حصصه من موارد البلاد مستقبلاً، أمّا في الجانب العسكري فكلّ طرف قام بتجنيد الشبّان السوريّين لصالحه؛ فإيران هيمنت على الفرقة الرابعة التي يقودها ماهر الأسد، والروس على الفيلق الخامس.

ويبدو أنّ الضربات التي كانت تتلقّاها إيران وميلشياتها من قبل إسرائيل، وبتساهل روسيّ، قد أثارت امتعاض إيران ومخاوفها من حصول تفاهم بين روسيا وأمريكا وإسرائيل قوامها تقليم أظافر إيران عبر الضربات الجوية الدقيقة ضدّ مراكز ميليشياتها ومخازن الأسلحة؛ الأمر الذي دفع بعلاقات الطرفَين، في بعض الأحيان، إلى حالة يسودها التوتّر

[29] DW- Iran-Turkey ties tested by Assad's downfall in Syria- Amir Soltanzadeh- 12/12/2024December
https://www.dw.com/en/iran-turkey-ties-tested-by-assads-downfall-in-syria/a-71037109

والاحتقان، وبالتالي؛ عدم ارتقاء علاقاتهما في سوريا تحديداً من التحالف التكتيكي إلى التحالف الاستراتيجي الذي كان له دور كبير في سقوط حليفهم وخسارة نفوذهما القويّ في منطقة غرب الفرات.

استناداً إلى ما تمّ ذكره؛ يبدو أنّ إيران قد فشلت في فهم النفاق السياسي التركي في الاجتماعات التي كانت تعقد في سوتشي وآستانة، والتي كان قد قدّمت فيها وعود بتقليص نفوذ "هيئة تحرير الشام"، كما أنّها لم تنجح في تطوير العلاقات الاستراتيجية مع روسيا في سوريا والحفاظ على ما حقّقوه على أرض الميدان طيلة عقد من الزمن الأمر الذي انعكس بشكل سلبيّ على استراتيجيتها.

- **المعارضة الإسلامية السُنّية:**

تُعَدُّ المعارضة الإسلامية السُنّية من القوى التي عارضت الوجود الإيراني بشدّة، ولطالما عملت على تصوير معاركها وصراعها في سوريا على أنّه صراع مذهبيّ بين (السُنّة والشيعة)؛ وذلك لكسب الدول العربية التي تعادي المشروع الإيراني، وعلى رأسها السعودية، كما أنّ خطابها وتنديدها المستمرّ بالممارسات الإيرانية في مناطق غرب الفرات، واتّهامها بتشييع السكان قسراً قد ساهم في تهيئة أرضية معادية للإيرانيين في كامل منطقة غرب الفرات وتشحين عواطفهم من أجل التعاون معهم، ومع القوى الخارجية أيضاً، في سبيل القضاء على التواجد الإيراني؛ وذلك عبر تزويدهم بمعلومات حول تحرّكات قيادات الحرس الثوري وحول مخازن أسلحتهم من أجل توجيه ضربات جوية ضدّها؛ الأمر الذي لعب دوراً كبيراً في هدم الثقة بين النظام البعثيّ والحرس الثوري بعد اتّهام الأخيرة بعضَ الضباط بالتجسّس لصالح إسرائيل.

إنّ عدم تمكّن إيران من القضاء الكلّي على المعارضة الإسلامية، وعلى رأسها هيئة تحرير الشام، إلى جانب هشاشة الاتّفاقيات والتسويات التي توصلوا إليها في بعض المناطق كالجنوب السوري، قد أثبتت فشل الاستراتيجية العسكرية الإيرانية بعد أن قامت الفصائل التي قَبِلت بالتسوية معها بتشكيل غرفة عمليات الجنوب وانضمامها إلى المعارك التي حصلت ضدّ النظام البعثيّ وانتهت بسقوطه وفقدان إيران لأهم أوراق ضغطها على إسرائيل وأمريكا؛ هذه العوامل والضربات المؤلمة التي تعرّض لها وكلاء إيران في كل من غزة ولبنان وحتى سوريا أيضاً، ساهمت في رفع معنويات المعارضة الإسلامية والبدء بعملية "ردع العدوان"، التي أظهرت مدى هشاشة الجيش والميليشيات المتحالفة معه؛ حيث سلموا حلب من دون قتال وهرب بعضهم إلى دول مجاورة. استناداً إلى ما ذكر؛ يمكن استنتاج أنّ الاستراتيجية العسكرية الإيرانية في سوريا قد فشلت في تصوّر هذا السيناريو واعتمدت بشكل كبير على الوجود الروسي وعلاقاتها مع إسرائيل وأمريكا، كما يبدو أنّ القادة الإيرانيين اعتقدوا أنّ الحرب في سوريا قد انتهت وأنّه من غير الممكن قيام المعارضة الإسلامية بشنّ مثل هكذا هجوم واسع النطاق على حليفهم، إلى جانب اعتقادهم بأنّه من المستحيل أن تراهن القوى الغربية مجدّداً على "هيئة تحرير الشام" التي تصنّف على لوائح الإرهاب لديهم؛ وبذلك كانت قراءتهم للمشهد السياسي والعسكري في سوريا قراءة خاطئة.

هذه العوائق المذكورة وعوامل أخرى كفشلهم في التمدّد في مناطق شمال وشرق سوريا الغنية بموارد الطاقة والمهمّة لحليفهم من الجانب الاقتصادي والسياسي والعسكري، ووجود حدود مشتركة طويلة مع العراق تنشط فيها فصائل الحشد الشعبي الموالي لإيران، إلى جانب عدم قدرتهم على تحييد النظام البعثيّ وفصله عن مقاربة ما تُسمّى بـ"وحدة الساحات" القاضية بتقديم الدعم العسكري والسياسي لمحور المقاومة الإيراني، وفي حال عدم القدرة على دعم تسهيل نقل مرور الأسلحة والتعاطف معهم عبر تجييش السكان في مناطق نفوذه، بالإضافة إلى فشلهم في تناول القضية في سوريا كأزمة عميقة ونابعة من رغبة مختلف مكوّناته بالتخلّص من هذا النظام بعدما قامت بمساندته وتصوير ما يحدث في ساحتها بالمؤامرة الكونية، فمثلاً لم تقم القيادة الإيرانية بلعب أدوار إيجابية تجاه الأزمة السورية وتشخيصها بشكل موضوعي بعيداً عن تحالفاتها الشخصية والضيقة مع رأس النظام؛ الأمر الذي أفقدها قوتها الناعمة بين الشعب السوري وحوّلها إلى عدو مباشر، وبالتالي تفضيل أي جهة أخرى عليها في سبيل الخلاص من هيمنتها حتى ولو كانت هذه القوى معادية له. بشكل عام؛ تُعَدُّ هذه العوائق المذكورة هي الأكثر

تأثيراً في فشل الاستراتيجية الإيرانية في سوريا، ووضعت أجنداتها المرسومة منذ عقدين أو ثلاثة عقود على المحكّ، ويمكن استنتاج ذلك من تصريحات قائد الحرس الثوري الإيراني حول سوريا عندما قال: "اليوم ترون كيف سقطت هذه القوى الأجنبية التي تشعل النار في سوريا كالذئاب الجائعة على حياة غزال واحد في الصحراء، يواجه هؤلاء الصهاينة جنوب البلاد وشمالها وشرقها، وهذا درس مرير نتعلّمه، لكن يجب أن نتعلّم هذا الدرس العظيم مع الدروس العظيمة المتبقّية من الدفاع المقدّس"([30]).

السياسة الإيرانية تجاه سوريا الجديدة:

بعد سقوط النظام البعثي في /8/ كانون الأول /2024/م، وتسلّم "هيئة تحرير الشام" لمقاليد الحكم في دمشق، يرى العديد من المحلّلين والباحثين أنّ الاستراتيجية الإيرانية في سوريا قد تعرّضت لضربات قاصمة أدّت إلى خسارتها لنفوذها الإقليمي، استناداً إلى المعطيات الموجودة على الأرض والمتمثّلة بتعرّض وكلائها لدمار كبير في غزة ولبنان وحالياً في سوريا، والتي كانت لها قيمة استثنائية لدى الحكام الإيرانيين الذين ما زالوا في حالة صدمة بعد الانهيار المفاجئ لحليفهم؛ إنّ الواقع الجديد في سوريا قد أجبر الإيرانيين على إعادة تقييماتهم من مختلف النواحي، ولا سيّما بعد سيطرة جماعات تكنّ العِداء لهم، وقد ظهر ذلك بعد تعرّض السفارة الإيرانية في دمشق لهجوم مباشر بعد فرار قادة النظام البعثي من البلاد والعبث برموزهم الدينية؛ وهذا يُعتَبَر مؤشّراً على أنّ طهران ستجد صعوبة بالغة في المستقبل للحفاظ على العلاقة الحميمة التي تمتّعت بها في الماضي مع سوريا، إلى جانب ذلك؛ فإنّ تصريحات أحمد الشرع الذي "اتّهم النظام البعثي بتحويل سوريا إلى منصّة إيرانية، وإبعادها عن الحضن العربي". وأضاف بأنّهم "أعادوا مشروع طهران 40 عاماً إلى الوراء"([31])، توحي بأنّ الإيرانيين قد يتوجّهون إلى زعزعة استقرار النظام الجديد في سوريا في حال أُتيحت الفرصة لهم؛ فبعد خطابهم البراغماتي لأداء الجيش السوري في المعارك، وعناد رأس النظام البعثي في تقديم تنازلات للشعب والمعارضة منذ البداية، جاءت التصريحات الإيرانية الأخيرة أكثر حدّة في الفترة الأخيرة، ووصلت إلى مستوى تهديد النظام الجديد، وذلك على لسان خامنئي الذي قال: "المناطق التي استولى عليها الأعداء في سوريا سيتم تحريرها على يد الشباب السوريين الغيورين، لا شكّ في أنّ هذا سيحدث، وستُطرَد أميركا من المنطقة عبر جبهة المقاومة"([32])، يبدو أنّ هذه التصريحات نابعة من تعرّض إيران لضربات متتالية ومؤلِمة على مختلف الساحات؛ الأمر الذي قد يحفّزها على القيام بعمليات انتقامية ضدّ النظام الجديد المتمثّل حالياً بهيئة تحرير الشام، عبر إثارة القلاقل لها كقوىً معادية ومساندة للغرب؛ فمثلاً قد تعمل الاستخبارات الإيرانية على فتح قنوات تواصل مع بعض التنظيمات الموجودة ضمن الهيئة، والممتعِضة من توجّهات وتصريحات زعيم الهيئة "أحمد الشرع"؛ فبحسب بعض المراقبين والباحثين لشؤون الجماعات الجهادية قد تظهر، أو أنّ هناك بالفعل، جماعات وفصائل لا تعترف بتوجّهات الشرع وتراها بمثابة تقديم تنازلات للغرب والدول الإقليمية من أجل إخراج جماعات من لائحة الإرهاب وتعويمها إقليمياً، لذا؛ قد يظهر تيّاران ضمن الهيئة، الأول يعتقد بوجوب التكيّف مع المتغيّرات الدولية والإقليمية والتلوّن بما تقتضيه الحاجة، أمّا الثاني فيعتقد أنّ هذه التغييرات بمثابة التنازل عن المبادئ الأيديولوجية الثابتة لديهم؛ لذا؛ ستحاول إيران الاستفادة من أي توتّر أو جدال أيديولوجي مستقبلي بين الفصائل المسلّحة، خاصة أنّ هناك تقارير تفيد بوجود زعيم القاعدة الحالي (بحسب وزارة الخارجية الأمريكية)

---

[30] سكاي نيوز العربية، قائد الحرس الثوري الإيراني يتحدث عن "درس سوريا المرير"، تاريخ النشر 15 ديسمبر 2024م، الرابط الالكتروني: https://www.skynewsarabia.com/middle-east/

[31] العربية الحدث، أحمد الشرع: مشروع إيران في المنطقة عاد 40 سنة إلى الوراء، نشر في 20 :ديسمبر ,2024م، الرابط الالكتروني: https://www.alhadath.net/syria/2024/12/20/%D8%A3%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1%D8%B9-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7-%D9%84%D8%A7-%D9%8A%D9%85%D9%83%D9%86-%D8%A3%D9%86-%D8%AA%D8%AD%D9%83%D9%85-%D8%A8%D8%B1%D8%A3%D9%8A-%D9%88%D8%A7%D8%AD%D8%AF

[32] ايران انترناشيونال، المرشد الإيراني يعد باستعادة سوريا من أيدي معارضي بشار الأسد وطرد أميركا من المنطقة، 11ديسمبر 2024م، الرابط الالكتروني: https://www.iranintl.com/ar/202412113522

"سيف العدل" على أراضيها، والقادر على التأثير على الفصائل المتشدّدة لنهج القاعدة، وبالتالي التسبّب بتوتّرات بين فصائل الهيئة نفسها، وبين الهيئة والغرب أيضاً، وحدوث اضطرابات ومواجهات عسكرية بينها، كما أنّها قد تعمل (الحرس الثوري) على فتح قنوات التواصل مع الحرس القديم (ضباط وعناصر النظام البعثي) الذين قاموا بإجراء تسوية مع النظام الجديد دون قناعة تامّة، وما يزيد من فرضيات حدوث تواصل بينهم هو أن تقوم عناصر الهيئة بتعامل مهين معهم (عناصر النظام البعثي) وحصر السلطات بيد عناصرها فقط؛ الأمر الذي قد يشجّعهم على التنسيق مع الحرس الثوري من أجل إثارة المشاكل وحتى محاولة إسقاط الحكم، لا سيّما أنّ هناك عناصر ضمن النظام السابق يمتلكون خبرة عسكرية كبيرة في كيفية تسيير الأمور لصالح أجنداتها، إلى جانب ذلك قد تقوم استخبارات الحرس الثوري بالتنسيق مع عناصر داعش من أجل شنّ هجمات ضدّ الهيئة، لا سيّما أنّ هناك تناقضاً وعداءً أيديولوجياً بين الطرفَين؛ هذه التكتيكات وغيرها قد تلجأ لها إيران في حال تصاعد حدّة التوتّرات بينهما وبين النظام الجديد، إلّا أنّ ما يقف عائقاً أمامها هي التوتّرات المتزايدة في المنطقة، والضغط الكبير الذي يتعرّض له وكلاؤها الباقون في العراق ولبنان واليمن، إلى جانب ذلك فقد خسرت إيران هيبتها في المنطقة بعد تعرّضها لسلسة من الضربات المتتالية، الأمر الذي قد يشجّعها على فتح قنوات تواصل مع النظام الجديد وكسبها كصديق بدلاً من إثارة المشاكل لها، وبالتالي حدوث انقطاع دبلوماسي قد يؤثّر بشكل سلبيّ على مستقبل العلاقات بين الطرفَين.

يبدو أنّ الوضع في الداخل الإيراني معقد بشكل كبير، ويمكن تلمّس ذلك من خلال التصريحات المتضاربة لمسؤوليها؛ فمثلا وزير الخارجية والبرلمان يصرّحان بفتح القنصلية في دمشق وطهران، بينما الحرس الثوري الإيراني وخامنئي يدلون بتصريحات قد تثير المشاكل والعوائق للنظام الجديد. بشكل عام؛ هناك حالة اضطراب سياسي في الداخل الإيراني وسيؤثر ذلك على السياسة الجديدة التي سيسلكها النظام الإيراني مع الواقع الجديد في سوريا التي يبدو أنّ الاحداث والتوتّرات فيها لا تزال مستمرّة، وسيتوقّف مسار التوجّه الإيراني على مستقبل البلاد ككلّ والذي لا زال يكتنفه الكثير من الغموض.

سيناريوهات الوضع الأمني والسياسي الجديد في سوريا:

بعد 7 أكتوبر/تشرين الأول 2023، بدأ النفوذ الإيراني الواسع في المنطقة يتداعى بفعل دخول وكلائها والموالين لها "محور المقاومة" ودخولها هي أيضاً، في صراع مباشر مع إسرائيل المدعومة غربياً بعد أن كانت تقتصر مواجهاتهم على حروب الظل والحروب الهجينة؛ وقد أظهرت هذه المواجهات مدى هشاشة نفوذها القائم على تأسيس كيانات تكتيكية موالية لها بعد أن تركتهم وحيدين في المعارك والمواجهات أمام الجيش الإسرائيلي الذي وجّه لهم ضربات مميتة وقوية خلال فترة يمكن وصفها بالوجيزة، ليس فقط لوكلاء إيران بل لها أيضاً بعد أن قامت باستهداف منظومة دفاعها، الأمر الذي يوحي بفشل الاستراتيجية العسكرية الإيرانية التي كانت تعتمد على مبدأ "استراتيجية الدفاع الأمامي"، أي؛ إبعاد الخطر عن حدودها وخوض الحروب في دول أخرى منعاً لتمدّدها إلى أراضيها، وينطلق ذلك من الوقائع الموجودة على الأرض وتقييمات المحلّلين العسكرين الذين يؤكّدون أنّ إسرائيل استطاعت تحقيق الجزء الأكبر من أهدافها العسكرية بعد أن دمّرت حماس وقتلت قاداتها الفعليّين وأضعفت حزب الله اللبناني بشكل كبير وفرضت عليه وقف إطلاق النار بشروط إسرائيلية، كما أنّها - وبحسب تصريح وزير دفاعها يسرائيل كاتس([33])- قامت بالتخطيط لإسقاط نظام بشار الأسد الذي كان بمثابة حلقة الوصل بين إيران وحزب الله اللبناني، والحليف الأبرز والأقوى لإيران التي باتت أمام حالة جيوسياسية جديدة في سوريا والمنطقة والعالم، فخروج نظام بشار الأسد من المعادلة السياسية والعسكرية لسوريا قد وجّه ضربة قوية للنفوذ الروسي والإيراني بشكل خاص؛ كون الأخير كان

[33] الحرة، محمد الصياد – القدس، إسرائيل تتبنى اغتيال هنية وتكشف عن "دورها" في إسقاط "الأسد"، 24ديسمبر 2024م، الرابط الالكتروني:
https://www.alhurra.com/top-news/2024/12/23/%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84-%D8%AA%D8%AA%D8%A8%D9%86%D9%89-%D8%A7%D8%BA%D8%AA%D9%8A%D8%A7%D9%84-%D9%87%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%AA%D9%83%D8%B4%D9%81-%D8%AF%D9%88%D8%B1%D9%87%D8%A7-%D9%81%D9%8A-%D8%A5%D8%B3%D9%82%D8%A7%D8%B7-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D8%AF

ينظر إلى خسارته كخسارة إحدى المحافظات الإيرانية بحسب تصريح العديد من قاداتهم الذين لا يزالون يعيشون في حالة دهشة وذهول ممّا حصل في عدّة أيام، والذين فقدوا أشياء كثيرة كانت مرتبطة ومهمّة جداً لمشاريعهم وأجنداتهم؛ ولعلّ أبرزها خسارتها للموقع الجيوسياسي المهمّ لسوريا التي كانت قريبة من عدوها الرئيسي إسرائيل، ومن تركيا منافستها الإقليمية على الهيمنة، ومنها صعوبة في إيصال المساعدات العسكرية لحزب الله الذي بات محاصراً، داخلياً وخارجياً، ويخضع لمراقبة أمنية دقيقة من قبل إسرائيل، وكذلك انهيار مشروعها المتمثّل بإنشاء ممرّ أمني واقتصادي يضمّ عدّة دول، وأهمّها سوريا، إلى جانب الخسارة الاقتصادية (مليارات الدولارات)، والخسائر البشرية (عناصر الحرس الثوري والمستشارين وفصائلها) الكبيرة والتي قد تلقي بظلالها سلباً على الداخل الإيراني، كلّ تلك الخسارات ستؤثر من دون أدنى شكّ على كيفية التعامل مع المتغيّرات الجيوسياسية الجديدة، بعد أن سيطرت الهيئة على دمشق والبدء بمرحلة جديدة قد تكون مغايرة ومختلفة كثيراً عن سياسة إيران التي تراقب عن كثب مستقبل البلاد الذي لا يزال يخيّم عليه الغموض؛ خصوصاً في ظل وجود أجندات دولية وإقليمية والتي ستحدّد الشكل النهائي للبلاد وللاستراتيجية الإيرانية المستقبلية تجاه سوريا.

إنّ التصريحات والتحرّكات الميدانية على الأرض في سوريا من قبل جميع الجهات لا توحي بوجود حالة من الاستقرار على المدى القريب ولا على المدى البعيد أيضاً؛ فتصريحات المسؤولين الأمريكيين تجاه الأوضاع في سوريا ووصفها بالخطيرة واحتمالية بروز دكتاتور آخر بدلاً من بشار الأسد، وقيام إسرائيل بالتوغّل لمسافة كبيرة، وزيارة نتنياهو وهاليفي وكاتس لجبل الشيخ وتصريحهم بأنّ قواتهم لن تنسحب من المناطق التي سيطرت عليها في المدى القريب، إلى جانب التهديدات التركية المستمرّة بغزو مناطق شمال وشرق سوريا وإبادة مكوّنات المنطقة، والزيارات المكوكية للمسؤولين الأتراك إلى دمشق وتقديم خدماتها للنظام الجديد مقابل مشاركة وجهة نظرهم تجاه قسد والإدارة الذاتية وغيرها العديد من الملفات؛ كلّها بوادر لتوتّرات قد تبرز في المستقبل القريب في حال عدم التوصّل إلى حلّ سياسي شامل يرضي مختلف أطراف النزاع؛ هذه التوترات التي قد تظهر ستحاول إيران توجيهها لمصلحتها من أجل فرض نفسها من جديد في المعادلة السياسية والعسكرية في سوريا عبر القيام بعدد من التكتيكات والاستراتيجيات، فمثلاً على الجانب التكتيكي ستحاول إيران الاستفادة من التناقضات الموجودة على الأرض بين الفصائل المتعدّدة، خاصة أنّها تترافق مع حالة اقتصادية مزرية؛ الأمر الذي سيساعدها على تشكيل وتنظيم ميلشيات موالية لها، علماً أنّها لا زالت تحتفظ بنفوذ واسع في العراق وهي قادرة على التدخّل عندما تدخل البلاد في حالة فوضى، وما يساعدها أكثر هو وجود الآلاف من جنود النظام البعثيّ الممتعضين من الهيئة وممارساتها التي يمكن وصفها بالطائفية تجاههم، أمّا على المستوى الاستراتيجي فستحاول إيران الاستفادة من المظالم التي تحدث ضدّ العلويين في الوقت الحالي واحتمال اندلاع حرب طائفية في المستقبل، وذلك عبر عرض حمايتها عليهم وتقديم الدعم لهم أو ضدّ مكوّنات أخرى، إلّا أنّها قد تعمل على مراجعة نهجها واتّباع نهج وخطاب سياسي جديد للتأثير على شعوب المنطقة تحت مسمّيات أخرى، كما تأمل طهران أن تعاود جذور تنظيم "القاعدة" بروزها إلى واجهة "هيئة تحرير الشام"؛ وهو ما سيؤدّي في النهاية إلى عودة النظام السوري كصديق للهيمنة الإقليمية الإيرانية في سوريا.

بمعزل عن هذه السيناريوهات المذكورة؛ فقد خسرت إيران نفوذها الاستراتيجي والمهمّ في سوريا، والذي كان يمتدّ منذ أيام الخميني، ويبدو أنّها لن تعود كما كانت قبل 8 كانون الأول 2024م ولاسيّما بعد تسلّم جماعات تكنّ العداء الإيديولوجي والطائفي لها، وحاربا بعضهما بعضاً لمدة عقد من الزمن، كما أنّها تلقت ضربات أليمة من أعدائها، الذين يتفوّقون عليها بالتكنولوجيا والأسلحة الاستراتيجية في مختلف الساحات، ويهدّدون ما تبقى ممّا يُسمّى "محور المقاومة" في اليمن والعراق اللتين تبدوان أنّهما ستواجهان مخاطر كبيرة في المستقبل القريب في حال عدم تغيير كل من جماعة الحوثيين والحشد الشعبي لسلوكهم وخطابهم السياسي والعسكري ضدّ إسرائيل والغرب، وخاصة جماعة الحوثيين التي تتلقّى تهديدات خطيرة من قبل إسرائيل بتدمير ترسانتها من الأسلحة وقتل قاداتها، أمّا الحشد الشعبي فهو بدوره يتعرّض لضغوط كبيرة من قبل الدولة العراقية والغرب وإسرائيل ودول الجوار السُّنّية من أجل فك ارتباط بعض فصائلها مع إيران ونبذ مشاريعها الإقليمية، وحالياً هناك توجّه وسياسة متّبعة في هذا

الاتجاه، وفي حال الوصول إلى طريق مسدود هناك احتماليات كبيرة أن تتعرّض العراق لحرب أهلية طائفية بين الحشد الشعبي الشيعي والجيش العراقي والفصائل السُّنّية التي تتلقّى دعماً غربياً وحتى إسرائيلياً؛ الأمر الذي سيؤدّي لخروج العراق أيضاً من تحت الهيمنة الإيرانية، وبالتالي؛ ازدياد التباعد الجغرافي عن سوريا، وخسارته لعمقها الاستراتيجي وللدولة التي كانت الهيمنة عليها حلماً لدى إيران التي قد تتلقى ضربات من قبل أمريكا وإسرائيل على منشآتها النووية في حال عدم عدولها عن خطابها السياسي الحالي.

إنّ استراتيجية إيران الكبرى المتمثّلة في التنسيق بين جبهات متعدّدة ضدّ إسرائيل من خلال شبكة من الوكلاء قد أخفقت إلى حدّ كبير، وأصبحت الآن أكثر انكشافاً من أي وقت مضى من الناحية العسكرية، خاصة أنّها خسرت سوريا التي كانت تراهن عليها بشكل كبير في حال بروز حرب بينها وبين إسرائيل وأمريكا؛ بعد هذه الهزائم على مختلف الجبهات ستعمل إيران على مراجعة وتقييم استراتيجيتها العسكرية في مختلف المناطق، ولا سيما سوريا التي باتت خارج نفوذها، إلّا أنّ ذلك يصطدم بالتهديدات المتكرّرة من قبل منافسيها وأعدائها، وتغيير سلوكها وحلّ فيلق القدس المختص بالعمليات الخارجية، وإيقافها لبرنامجها النووي، كلّها مؤشّرات على إصرار القوى العظمى على تحجيم القدرات الإيرانية العسكرية، وسحب يدها من المنطقة عبر إيقاف الدعم لوكلائها في المنطقة، لذا؛ فإنّ الاستراتيجية الإيرانية الجديدة في سوريا ستكون مرتبطة بشكل كبير بالتوافق الدولي النهائي لمنطقة الشرق الأوسط التي تتعرّض لتغييرات دراماتيكية مفاجئة ومتسارعة، الأمر الذي يُصعّب من التنبّؤ بالمشهد السياسي والعسكري للمنطقة ككل في ظل استمرار الفوضى والحروب.

الخاتمة:

كانت سوريا منذ عام 1979م الدولة الأكثر موثوقية واستراتيجية لدى إيران لما قامت به من مواقف داعمة وثابتة في أوقات حرجة ومفصلية كالوقوف إلى جانبها في حربها مع نظام صدام حسين وصراعها الأيديولوجي مع الدول السُّنّية، وقد استمرّت هذه العلاقات بين الطرفين إلى حين بروز الأزمة في البلاد، والتي أعطت الفرصة لإيران للسيطرة على القرار السياسي والعسكري للنظام والتمتّع بنفوذ واسع في المنطقة، إلّا أنّ ذلك لم يدم طويلاً بعد سقوط حليفها مع نهاية عام 2024م؛ الأمر الذي ساهم بشكل كبير في عرقلة المشاريع الإقليمية لإيران وخاصة المتغيّرات التي شهدتها سوريا، وقد تكون بمثابة الضربة القاضية لاستراتيجيتها في المنطقة؛ فانسحابها من دون مقاومة تُذكَر يوحي بدخول استراتيجيتها التوسّعية المتمثّلة (بمشروع الهلال الشيعي) مرحلة جديدة، لأنّ ايران وجدت أنّه من الأهمية أن تتراجع بعض الخطوات للوراء للحفاظ على ما تمتلكه من قوّة ومقدّرات، وأيضا لإعادة تقييم وضعها وترتيب أولوياتها، خاصة بعد الخسارة الكبيرة في العتاد والعناصر التي لحقت حزب الله وحماس.

فمن المؤكّد أنّ السقوط المفاجئ لبشار الأسد سيضع النظام الإيراني في موقف صعب، ولا سيّما أنّه اعتمدت لعقود من الزمن على الدعم السوري للحفاظ على خطوط الإمداد الحيوية لـ"حزب الله" في لبنان المجاور، كما أنّ الفصائل الإسلامية ممتعضة كثيراً منها (إيران)؛ كونها كانت وراء هزيمتهم لعدّة سنوات، ولعلّ تعرّض السفارة الإيرانية في دمشق للهجوم مباشرة بعد فرار بشار الأسد من البلاد يُعَدُّ مؤشّراً على أنّ طهران ستجد صعوبة بالغة في الحفاظ على العلاقة الحميمة مع سوريا التي تمتّعت بها في الماضي، إلى جانب ذلك فإنّ المشهد السياسي والعسكري الحالي وزيارة الوفود الغربية والعربية المستمرّة لدمشق، وربط الانفتاح ورفع العقوبات مع هيئة تحرير الشام المصنّف على لوائح الإرهاب، بالتخلّص من القواعد الروسية، وعدم فتح المجال أمام إيران للعودة مجدّداً إلى الساحة السورية، يوحي بصعوبة تدارك طهران لهذه المتغيّرات المتسارعة والتي قد تمتد إلى داخل إيران أيضاً، خاصة أنّ هناك توافقاً دولياً وإقليمياً على كبح جماح إيران في المنطقة؛ وذلك عبر محاربة أذرعها وإخراجها من المشهد السياسي والعسكري للدول التي كان يشملها المشروع الإيراني.